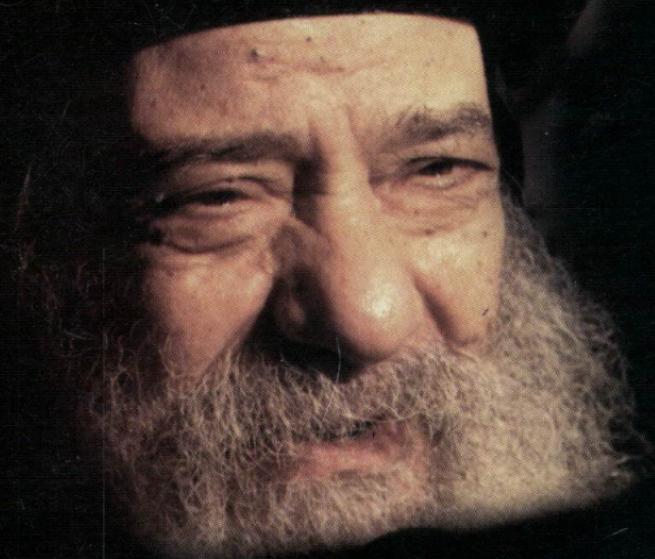




الهيئة المصرية العامة للكتاب

ن ديو

البابا شنودة



جمع ودراسة

د. محمد سالمان

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الْحٰمِيْلَى

سالمان، محمد.

ديوان البابا شنودة / محمد سالمان. - القاهرة :

الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢.

١٦٨ ص ٢٠٤ سم.

٩٧٨ ٩٧٧ ٢٠٧ ٣٠٨ ٥ تدمك

١ - الشعر العربي - تاريخ - العصر الحديث.

٢ - الشعر العربي - تاريخ ونقد.

٣ - المسيحية - ترافق.

٤ - شنودة الثالث، بابا الإسكندرية، ١٩٢٣ - ٢٠١٢

١ - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ١١٦٠٧ / ٢٠١٢

I. S. B. N 978 - 977 - 308 - 5

٨١١,٩ دينار

ديوان البابا شنودة

د. محمد سالمان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٢

وزارة الثقافة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. أحمد مجاهد

اسم الكتاب : **ديوان البابا شنودة**

تأليف : د. محمد سالمان

حقوق الطبع محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب

تصميم الغلاف : **أنس الديب**

الماكيت : **أميمة على أحمد**

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب : ٢٣٥ الرقمن البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

www.gebo.gov.eg

E-mail: info@gebo.gov.eg

قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):

«إِنَّمَا الْمُحْكَمَةُ وَإِنَّمَا الْبَيَانُ لِسُحْرِهِ».

(رواہ البخاری)



بيانه العظيم أخبارنا بغير مبررس .. سمة موضوعي
هذه دوسته متداولة لا تستغرق مدة

البابا شنودة الثالث - سنه تاسع
تعالى الله مخلصون وتأييذه التغرس أمهدها
د. محمد سالمان ، بعد انه خاصص في ذي عياده
الشمارقة ، وبعد انه فبعد ذلك قبل سرقة
قداسة العطوه ، تبرأ من فرامة تجليه ،
واعتراضه ، منه شرط قداسة :

• ذي القعده الرابع الدين الروحى المقام

• الرابع سنه فقرة ثانية ، رساله لغزة ،
وسعديه تغرس

• السادس بالذمه الرسمية موافقة والده

• السادس تغرس بالذمه الرسمية ومن ثم وصوله

• السادس العاشر السادس السادس

• ثانية بشرارة المحرج سنه فجرة الموسى

• استخدام العذر الصافى ، وفؤاده التالية



والشخصية التاريخية
ولهذا يادت استمراره سلة، فخططا
الباب و مولدها ٢١ تبرير تضع
بطريركية لهم ...
شكراً لوزستان الكفر، احمد مجاهد
رئيس مجلس إدارة الهيئة المصرية العامة لللكتب،
ولucusar هذا الديوان لستعدين الراى مذكرها
لقد ساهم في نشرة الثالث، مرر
الرسوخية والعلمية والبداع.
شكراً للكثير محمد سامان مع هذه
الدراسة المتميزة

تمهيد

قليلة هي الأعلام التي تملأ الدنيا وتشغل الناس.. قليلة هي الأعلام التي تحفر في ذاكرة التاريخ مكاناً بارزاً.. من هذه الأعلام البارزة كان «نظير جيد رو فائيل جاد»، أو كما يعرفه الكثيرون باسم «البابا شنودة»..

شخصية مصرية وعالمية رفيعة المستوى، فقد شغل بطريرك الكرازة المرقسية في مصر والسودان وسائر إفريقيا والخمس مدن الغربية وبلاط المهاجر.. هو رجل دين بارز وشجاع صلب عميق هادئ متسامح مثقف.. كانت حياته سراً من الأسرار.. يعيش في العزلة والاغتراب.. يهوي حياة الجبال والمعار.. يعيش في الفيافي والمفازات.. يعيش التأمل والتفكير.. سريع الخاطرة يحب الفكاهة والمزاح..

على الرغم من مكانته الدينية وعلمه الغزير، الأمر الذي جعل كتبه تصل لنحو يقارب أكثر من المائة؛ فإن ذلك لن يثنيه عن الشعر.. فقد كان شاعراً فحلاً.. تقرأ شعره فتشعر أنك في عالم مليء بالأسرار.. تجد في شعره نفثة جبران خليل جبران، وتأمل

إيليا أبي ماضي وصور عبد المسيح حداد وبساطة نسيب عريضة
وعمق العقاد، وبراعة المازني، وموسيقى إبراهيم ناجي ومحمود
حسن إسماعيل...

وقليل من تناول «البابا شنودة» شاعرًا.. ولذا كان هذا الكتاب
الذي يضم معظم شعره المتاح بين أيدينا مع دراسة عن حياته،
وآخر عن شعره تبين مدى شاعريته وصدقه في قصائده.

* * *

(١)

حياته

ولد قداسة البابا شنودة الثالث (نظير جيد رو فائيل) في محافظة أسيوط بصعيد مصر.. ويقول البابا عن ميلاده:

ولدت يوم ٣ أغسطس ١٩٢٣م ولدت في قرية سلام مركز منفلوط بأسيوط وتوفيت والدتي بعد ميلادي بأيام قليلة، وأرضعني امرأة مسلمة وهي الحاجة «صابرية»، وهي أم لبنتي ولد.. فأما البنت فتزوجت خارج القرية، أما الابن (عبد العزيز) فقد سافر إلى إحدى الدول العربية، ثم عاد وباع المنزل وانقطعت أخباره.. ومن البصمات الواضحة اللي تركتها وفاة أمي في سماتي الشخصية الجدية منذ الصغر فلم أتعود اللعب مع الأطفال^(١).

وأنا تلميذ صغير في قرية سلام «محافظة أسيوط» دخلت مدرسة روضة، ما كنت أعرف شيئاً وما كان أحد يهتم بي، كان والدي في نهاية اليوم قبل أن أنام يقول لي: (يا نظير أنت حفظت أ).

(١) اعتمدت في هذه المقدمة عن حياة البابا شنودة على كتاب «حديث الذكريات» للقس تادرس عطية الله.

ب؟) أقول له: لا يابوي، يقول لي نام، أروح نايم.. وفضلت نايم على كده، المهم في هذه السنة كنت أنا وأخي الأكبر مني شوقي جيد، الذي أصبح فيما بعد أبونا بطرس جيد، وكان معه أشهر واعظ في ذلك الزمان هو الأرشيدياكون إسكندر حنا..

ولما بلغت ٦ سنوات انتقلنا من قريتنا إلى دمنهور، ثم إلى الإسكندرية وأخذت فيها ثانية وثالث ابتدائي وفي سنة رابعة ذهبت إلى أسيوط.

تأثرنا بقداسات المطران «الأنبا مكاريوس» وبعظات الأرشيدياكون إسكندر حنا تأثراً جعلنا في التصاق بالكنيسة باستمرار..

وفي تلك السنة لا أنا قدمت على الشهادة الابتدائية ولا أخي شوقي قدم على شهادة الكفاءة، وضاعت سنة من عمرنا. وأتى أخونا الأكبر روفائيل ونقلنا إليه لكي يتبع معنا علومنا، وكان في بناها في ذلك العين.

ونتيجة وفاة والدتي بعد ميلادي انشغلت الأسرة ونسوا استخراج شهادة ميلادي، ومن ثم رفضت المدارس الحكومية أن تقبلني بعد الشهادة الابتدائية لعدم وجود شهادة ميلاد وأرسلوني للطبيب لتسيني و كنت على ما أظن في الحادية عشرة من عمري، وقبل أن يقدر الطبيب سني قلت له: «آمل أن لا تخطئ

في تسنيني»، فتعجب الطيب من كلامي، كيف أن طفلاً صغيراً ينصحه فقال لي: وأي خطأ تعني؟ قلت له: «من الجائز جدًا أن يولد الإنسان بعد وفاة أبيه إذا كان الأب قد توفي وترك الأم حاملاً به. قال: جائز، قلت: «لكن من المستحيل أن يولد الإنسان بعد وفاة أمه. فضحك الطيب، ثم قلت له: توفيت أمي في حمى النفاس التي تصيب المرأة بعد الولادة، وتاريخ وفاتها معروف وهو مسجل في سجلات الوفاة، فلابد إذن من أن تستند في تقدير سني إلى هذه الوثائق الخاصة بي، وقد كان تاريخ ميلادي فعلاً الثالث من أغسطس ١٩٢٣م، يوم وفاة والدتي، ولم يقع الطيب في خطأ. وصدرت شهادة تسنيني بالتاريخ الصحيح وباسمي نظير جيد رو فائق.

بعد الشهادة الابتدائية انتقلت إلى القاهرة فأتممت تعليمي الثانوي بمدرسة الإيمان الثانوية بشبرا، كنت أقرأ كل ما يقع تحت يدي من كتب، وأنا ولد صغير ١٢ أو ١٣ سنة، قرأت كتاب طه حسين (قادة الفكر) .. وأنا في هذا السن قرأت (قصة سارة) للعقاد.. قرأت كتباً كثيرة لشلوك هولمز.. وغيره من الآداب العربية والأجنبية.

وفي عام ١٩٣٩م كانت أول قصيدة شعرية منظومة، وكان عمري آنذاك ١٦ عاماً ودارت القصيدة حول موضوع مولدي قلت فيها:

أحـقـاً كـانـ لـي أـمـ فـمـاتـ

أـمـ إـنـيـ قـدـ خـلـقـتـ بـغـيـرـ أـمـ

رـمـانـيـ اللـهـ فـيـ الدـنـيـاـ غـرـيـبـاـ

أـحـلـقـ فـيـ فـضـاءـ مـدـلـهـمـ

كـنـتـ مـعـجـبـاـ بـمـكـرـمـ عـيـدـ، وـأـحـفـظـ بـعـضـ كـلـمـاتـهـ وـقـدـ أـلـقـيـتـ
أـمـامـهـ قـصـيـدـةـ فـأـعـجـبـ بـهـاـ. وـفـيـ هـذـهـ فـتـرـةـ كـانـ يـهـمـنـيـ حـيـاتـيـ
الـدـرـاسـيـةـ؛ لـأـنـ مـاـكـنـتـ أـسـعـيـ إـلـيـهـ هـوـ التـفـوقـ.

وـبـدـأـتـ أـقـولـ الشـعـرـ وـأـنـاـ فـيـ السـنـةـ الثـانـوـيـةـ، الـتـيـ تـعـادـلـ
ثـالـثـةـ إـعـدـادـيـ حـالـيـاـ، وـلـكـنـيـ مـاـكـنـتـ أـسـمـيـهـ أـبـدـاـ شـعـرـاـ، حـيـثـ إـنـيـ
لـمـ أـكـنـ قـدـ دـرـسـتـ قـوـاعـدـ الشـعـرـ بـعـدـ.

وـكـنـتـ أـعـتـبـرـهـ نـوـعـاـ مـنـ الشـعـرـ المـتـشـوـرـ، إـلـاـ أـنـيـ فـيـ السـنـةـ الثـالـثـةـ
الـثـانـوـيـةـ، بـدـأـ اـشـتـيـاقـيـ لـأـنـ أـدـرـسـ قـوـاعـدـ الشـعـرـ، وـفـعـلـاـ وـجـدـتـ
كـتـابـاـ اـسـمـهـ (أـهـدـيـ سـبـيلـ إـلـىـ عـلـمـيـ الـخـلـيلـ)ـ فـيـ دـارـ الـكـتـبـ، وـكـنـتـ
أـذـهـبـ إـلـىـ دـارـ الـكـتـبـ يـوـمـيـاـ مـنـ الصـبـاحـ، وـأـقـضـيـ الصـبـاحـ كـلـهـ مـعـ
هـذـاـ الـكـتـابـ إـلـىـ الـظـهـيرـةـ، فـأـعـوـدـ إـلـىـ الـبـيـتـ، وـأـرـجـعـ مـرـةـ أـخـرـىـ
بـعـدـ الـظـهـرـ إـلـىـ دـارـ الـكـتـبـ لـكـيـ أـكـمـلـ درـاستـيـ فـيـ هـذـاـ الـكـتـابـ.

وـمـعـ أـنـ الـبـعـضـ كـانـوـاـ يـقـولـونـ: إـنـ قـوـاعـدـ الشـعـرـ صـعـبـةـ، إـلـاـ أـنـيـ
دـرـستـهـاـ تـمـامـاـ، وـبـسـهـوـلـةـ مـنـ فـرـطـ اـشـتـيـاقـيـ.

ودرست علمي العروض والقافية من كتاب (أهدى سبيل إلى علمي الخليل).. ودرست بحور الشعر وأوزانه وتفاعيله.

وبدأت أكتب شعراً وأطمئن إلى أنه شعر موزون يتفق مع قواعد الشعر.

كان اتقاني للشعر أمراً مهماً، وكان أستاذي في اللغة العربية في ذلك الحين اسمه «محمود محمد سعد»، وكان رئيساً لنقابات العمال التابعة للنبيل عباس حليم، فطلب مني أن أضع نشيداً للعمال، و كنت وقتها في الثقة العامة (تعادل ثانية ثانوي).

وفعلاً وضعت النشيد ولحنوه، وكان العمال يقولونه في ذلك الحين يعني تقريباً سنة ١٩٤٠ م.

المرحلة الثانوية:

كنت في الثانوية العامة قسم علمي، إلى متصف السنة، ثم أخذت أفكر في نفسي ماذا سيكون مستقبلي بعد أن أتخرج من ثانوية قسم علمي.. قلت أحسن مستقبل هو أن أصبح طبيباً.. لم أكن أحتمل إطلاقاً أن أرى شخصاً مجنوناً، وإن حدث في البيت أن حاولوا أن يزيلوا دملاً من أحد أفراد الأسرة، فإني في الحال أترك البيت وأخرج، وأقصى ما كنت أحتمل رؤيته، هو وضع القطرة في عين أحد الأشخاص.

فقلت لنفسي: أنا لا أصلح أبداً أن أكون طبيباً، وبدأت أحول للقسم الأدبي وأول درس حضرته كان جغرافياً عن الزلازل في العالم، وكان المدرس قوياً جداً، يرسم بأصبعه خريطة العالم على السبورة بطريقة متقنة جداً، وكان يشرح ويسأل الطلبة، ثم التفت إليّ وقال: (طبعاً التلميذ اللي جاي من علمي مش فاهم حاجة)، قلت له: (ليه مش فاهم حاجة يا أستاذ؟ كل اللي قلته فاهمه)، قال: (طيب قل ما فهمت)، لخصت له الدرس تلخيصاً كاملاً كما قاله، وبعد ذلك كان كلما دخل إلى الحصة يطلب مني أن أشخص درس الحصة الماضية، وأتابع معه الدرس الجديد.

في الجامعة:

عندما التحقت بالجامعة حصلت على مجانية تفوق.. ودخلت الجامعة واخترت قسم تاريخ في كلية الآداب جامعة القاهرة.. وفي السنة الأولى كنت الأول، لكن هذا التفوق لم يستمر معى لأسباب خرجت عن إرادتى، غير أنى نجحت بتفوق.

وحصلت على الليسانس عام ١٩٤٧ م بتقدير ممتاز وخلال فترة الجامعة كتبت قصيدة «غريباً عشت في الدنيا».

انجذبنا أنا وشقيقى الأستاذ شوقي جيد (المتنيح القمص بطرس جيد) إلى الجو الدينى بفضل صلوات الأنبا مكاريوس مطران أسيوط لدرجة أن شقيقى تحول إلى الدراسة في كلية اللاهوت وأصبح قسيساً.

تخرجت سنة ١٩٤٧ م في كلية الآداب، وفي نفس السنة تخرجت من الضباط الاحتياط، وكانت الأولى في مدرسة المشاہ، ثم عملت مدرساً صباحاً، ولما دخلت الكلية الإكليريكية قبلني الأستاذ حبيب جرجس الأرشيدياكون - نيع الله نفسه - بصفة استثنائية؛ لأنه كان يشترط للالتحاق بالقسم الليلي، أن يكون الطالب خريجاً من الجامعة..

بعض الطلبة كانوا متضايقين من وجودي طالباً في الكلية، وأنا لا تنطبق على الشروط.. فقلت لهم: لا تتضايقوا كثيراً، فأنا لن أدخل الامتحان إلا ومعي الشهادة الجامعية، وكان الامتحان بالنسبة للقسم الليلي في شهر سبتمبر، وكانت في شهر يونيو قد تخرجت في كلية الآداب وأصبحت خريجاً مثلهم.

وفي شهر سبتمبر دخلت الامتحان، وكان ترتيبى الأول في الإكليريكية.. كان الأستاذ حبيب جرجس يقول لي (عايزينك معانا)، وعیني الأرشيدياكون حبيب جرجس مدرساً بها لمارآه من تفوق، وبعدها تخرجت في الكلية الإكليريكية سنة ١٩٤٩ م أخذوني للتدريس فيها.

علاقتي بأبونا مينا البراموسى (البابا كيرلس):

كنت أعرف أبونا ضمئياً من عام ١٩٤٨م، وكنت أحب فيه الطيبة والتعبد.. وكانت أترد على كنيسته بمصر القديمة، وانتهى بي الأمر إلى أن سكنت هناك أتمتع بقداسة صلواته ورعايته وإرشاده وتوجيهه.

الطريق إلى الرهبنة

خلال الجو الاجتماعي الذي عشته في الكلية ومن خلال هذا التفوق في الدراسة، كانت هناك عوامل أخرى داخلية في القلب تقودني إلى حياة النسك، وكانت قمة هذا الأمر تكمن في حياة الرهبنة... غير أن فكري عن الرهبنة لم تكن مجرد انعزال أو بعد عن المجتمع، إنما كان حنيناً إلى الله وإلى الانفراد به بعد أن تغلب هذا الشعور على أي نجاح لي في الحياة.

فكرة الرهبنة موجودة عندي منذ كنت طالباً في الجامعة، فقد شعرت أن هناك شيئاً أسمى من هذه الدنيا بكثير، واشتقت أن أكون راهباً، وعاشت الفكرة في حياتي وأشعاري، وأذكر أنني كتبت قصيدة وأنا في السنة الثالثة بالكلية عنوانها «غريباً».

غريباً عشت في الدنيا	نزيلاً مثل آبائي
غريباً في أساليبي	وأفكاري وأهواي
غريباً لم أجد سمعاً	أفرغ فيه آرائي

بعد تخرجي في كلية اللاهوت عام ١٩٤٩م بدأت أكرس نفسي لخدمة الله، فعينني الأرشيدياكون «حبيب جرجس» مدرساً بالإكليريكية... وأيضاً صرت مسؤولاً عن مجلة مدارس الأحد

كمدير للتحرير، ثم كرئيس للتحرير، وكانت لي مسؤوليات كثيرة من حيث التدريس بين الشباب. وقد تم اختياري أيضاً مدرساً بمدرسة الرهبان بحلوان... وخدمت في بيت مدارس الأحد، وأُسند إليّ الإشراف على البيت التابع لمدارس الأحد... فأشرفت عليه، وكنت لا أرد طلباً لأي محتاج.

وكانت من المبادئ التي كنت أردها سواء وأنا طالب بالجامعة أو أنا أعمل في نفس الوقت بالخدمة: «نحن نعطي الله فضلات القلب، والله يريد الوقت كله.. والقلب كله»... خلاصة القول: إنني أصبحت معروفاً في الجو الكنسي... ولم تبق إلا الخطوة الأخيرة.

كل ما سبق كان مقدمات وخطوات في الطريق، وأصبح موضوع الرهبنة ينتقل من كلمة «هل» إلى كلمة «متى»... وفي تلك الفترة عرض على أكثر من مرة أن أكون قسيساً فاعتذرت؛ لأن القسيس رجل متزوج وأنا لا أريد هذه الحياة، وكنت أشعر أن حياة البتولية فيها حرية أكثر، بحيث يستطيع الإنسان أن يتقل حينما يشاء، ويختار نوع الحياة الذي يناسبه، فيستخدم وقته كما يحب ويستخدم نوع المعيشة الذي يروقه حتى في أكله وصومه دون شريك له في الحياة يسائله ويتدخل في خصوصياته، بل يعتبرها من خصوصياته.

في تلك الفترة كنت أتردد على الأديرة وبخاصة وادي النطرون وبالذات «دير السيدة العذراء الشهير بالسريان»، وأصبحت لي صلة وثيقة بالدير ورئيسه ورهبانيه، فكنت أقضي الأعياد في الدير وليس وسط أسرتي، وكانت كلما أجد فراغاً كنت أقضيه في الدير، وقد اعتادت الأسرة هذا الجو ما دامت أروح وأجيء، فكنتأشعر أن عليّ واجباً حيال أسرتي ينبغي أن أوديه، فلما جاء الوقت الذي أحسست فيه أن تركي للأسرة لا يؤثر عليها إلا من الناحية العاطفية فقط... شعرت أن الوقت قد جاء.

وعندما قررت أن أسافر بحيث لا أعود، قابلت أخي الأكبر، وقلت له: أنا مسافر - إن شاء الله - إلى الدير. فقال: تصبحك السلام، ولكن متى ترجع؟ قلت: لا أعرف متى ولكنني مسافر، فأخذها بحسن نية وسافرت. وكان ذلك في يوم ١٨ / ٧ / ١٩٥٤م، وترهبت في دير السريان بوادي النطرون باسم «الراهب أنطونيوس السرياني».

وكان أول خطاب أرسله لشقيقه شوقي من أربع صفحات، ثم في الخطاب الثاني أصبح ثلاث صفحات، ثم أخذ الخطاب ينكمش فأصبح صفحتين فصفحة!!.

اشتاقت نفسي لحياة الوحدة والتأمل الروحي، فاختارت لنفسي مغارة في الجبل تبعد عن الدير مسافة كبيرة وكانت قريبة من مغارة

الراهب عبد المسيح الجبشي. ومكثت فيها أكثر من ست سنوات لا أرى فيها وجه إنسان.. وقد كانت هذه الفترة من أعظم فترات حياتي، فقد كنت أصلي وأقرأ فقط... واستطعت أن أقرأآلاف الكتب والمراجع الدينية وأهمها أقوال الآباء القديسين... وقد أوكل إلى نيافة الأنبا ثاؤفيلوس أسقف الدير الناحية الثقافية، فأشرفت على المكتبة ونظمتها، وقمت بنشر المخطوطات الثمينة بمطبعة الدير.

من البرية.. إلى الأسقفية

كثير من الرهبان الذين ترهبنا بعدي رسموا قسوساً، وأنا كنت أعتذر عن رسامتني قسّاً، لكي أحيي الحياة الرهبانية الأولى التي كانت بعيدة عن الكهنوت.. إلى أن جاء وقت لم يجدوا فيه أب اعتراف للرهبان الجدد، وكان أولهم المتنيح الأنبا أغاثون مطران الإسماعيلية الذي عندما رُسم راهباً في يوم الأحد ٢٤ أغسطس ١٩٥٨ م لم يجدوا له أب اعتراف.. فُرستم قسّاً في الأسبوع الذي يليه في ٣١ أغسطس ١٩٥٨ م بشرط أن أبقى في مغارقي ولا أتركها، والذي سلمني الذبيحة هو أب اعترافي في ذلك الحين وهو «القمحص توما السرياني» وكان من شيوخ الدير..

لما كنت أمشي مع رئيس الدير نيافة الأنبا ثاؤ فيلس في الجنينة كان يقول: يا ترى لو كنا نعمل كذا وكذا.. وبعدين يسافر أسبوع.. ولما يرجع يلاقي كل حاجة اتعلمت!!.. وده لأنني كنت أطيع الرغبة التي في قلبه وليس القول الذي على لسانه!!

أتذكر أول مرة وقفت فيها أمام الهيكل أصلبي صلاة الشكر في ثاني أسبوع بعد سيامتي قسّاً، لم أستطع أن أقول شيئاً.. «أحاول أقول بالقبطي نسيت».. «أحاول أقول بالعربي نسيت» بعدها

جابوالى الخولا جي .. وحالياً أشتاق اليوم الذي وقفت فيه
(أتلجلج) أمام الهيكل من هيبة الموقف التي كانت لي في أول
مرة ..

لما دخلت الدير دخلت بجدية ... بحب لهذا الطريق وكل
هدف أن أعيش في حياة الوحدة الكاملة التي حرمت منها الآن ..
وبعد فترة سكنت في مغارة قريبة تبعد حوالي ٣,٥ كيلومتر من
الدير، ثم سكنت في مغارة بعيدة .. على بعد ١٠ كيلومتر .. كانت
تمر على أسباب لا أرى فيها وجه إنسان، وهي بالنسبة لي أحسن
أيام الرهبنة. كنت عايش لوحدي ومبسط وكنت أظن أن هذه
الحياة تدوم ولكن هيئات !! ...

أكثر يوم بكيت فيه في حياتي هو اليوم الذي رسمت فيه أسقفاً.
الحكاية تبتدى عندما مر على نيافة الأنبا ثاؤفيلس في قلاليتى في
الساعة الرابعة من صباح يوم الثلاثاء ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢ م، وقال
لي: إن البابا غضب جداً لمخالفة أمره، في عدم إدخال الرحلة.
فقلت له: هناك حل بسيط يريح الكل، أنا أريد أن أرجع إلى
مغارتي، وقد طلبت من نيافتك هذا الموضوع من مدة طويلة،
فيمكن أن تقول للبابا: لقد عزلنا القس أنطونيوس من أمانة الدير
عقوبة له، وتكون قد أرضيت البابا، وفي نفس الوقت حققت
رغبتي في الرجوع إلى المغارة ويتنهى الموضوع عند هذا الحد.

ولكن نيافة الأنبا ثاؤفليس قال لي: إن البابا غضب جداً، ورفض أن يسلم عليّ، وأمر بسرعة إحضار الراهب أنطونيوس، ولابد أن تذهب لمقابله، ووعدني أن أعود مباشرة بعد هذا اللقاء. فاضطررت السفر بجلبابي البسيط المعفر بالتراب، وطاقية فوق رأسني وشيشب في قدمي. ووصلنا البطريركية حوالي الساعة السادسة ونصف صباحاً، وكان البابا يصلى القدس في الكنيسة في ذلك الوقت، فانتظرنا خروجه، ولما حضر سلم على نيافة الأنبا ثاؤفليس. وقابلني بجفاء قائلاً لي: هل هذه ملابس تأتي بها لمقابلي؟ فقلت له: لا أملك يا سيدنا أفضل منها، وجلسنا معًا.. وعاتبني في عدم قبول الرحلة الألمانية فقلت له: لقد قبلنا الأستاذ والمصورين، وقد شاهدوا معالم الدير، وارتاحوا الكل شيء وخرجوا مسرورين بعد أن قضوا مهتمهم العلمية. أما باقي الرحلة على الباب فقد قدمنا لهم واجب الضيافة، وقدمنا لهم بعض الحلويات، ومضوا وهم في متنهى السرور. فارتاح البابا لهذا الأمر.

ثم قال لي البابا: لماذا لا تتعاون معي في الكنيسة؟

فقلت: يا سيدنا أنا تحت طلبكم في أي مهمة بشرط أن لا أترك الدير.

فقال لي: لقد أخذت حظك من الرهبنة.

فقلت له: أنا لم أتره بن بعد.

ونظر إلى الأنبا ثاؤفليس وقال له: أنت لا تحب أن ترك أولادك لأنهم يساعدونك في الدير.

قال الأنبا ثاؤفليس: أنا لا أستغني عن تراب أرجلهم.

وحيئذ قال لي البابا: أريدك أن تكون أسقفاً لأفريقيا.

فقلت له: يا سيدنا لا أريد أن ترك الدير، أنا أحب أن أحيا في حياة الوحدة.

قال لي: نرسمك أسقفاً على الإكليركية.

فقلت له: الإكليركية، عدد الطلاب فيه أقل من الأساتذة، ولا يحتاجون إلى أسقف.

قال لي: هم يحتاجون إلى من يرعاهم.

قلت له: عندك أبوانا إبراهيم عطيه، وعندك أبوانا مكارى..
وعندك ناس كثير واعتذر، ولم ألم يجد فائدة دخل معي في موضوع آخر.

فقال لي: هل قرأت كتابات مار إسحق.

قلت له: قرأتها أربع مرات ونسختها.

قال لي: هل تذكر ما قاله مار إسحق عن التواضع.

فقلت له: قال مار إسحق: «أريد أن أتكلّم عن التواضع ولكن خائف كمن يريد أن يتكلّم عن الله؛ لأن التواضع هو الحلة التي لبسها الالهوت لمن ظهر بيننا، لذلك فإن الشيطان حينما يرى إنساناً متواضعًا، يخاف ويهرّب منه؛ لأنّه يرى فيه صورة الذي تجسّد وهزم من قبل».

وكنت أعرف أن البابا يحب هذه العبارة بالذات؛ لأنه نشرها من قبل، حينما كانت كنيسة مارمينا بمصر القديمة - التي كان يقيم بها وهو راهب متواحد - تنشر نشرة غير دورية عنوانها «ميناء الخلاص». فَسُرَّ بهذ الإجابة. وسألني عن الشيخ الروحاني، وظللنا نتداول في أخبار القديسين وقصصهم مدة، إلى أن اخترني الموضوع الخاص بالرسامة. وحيثئذ قال نيافة الأنبا ثاؤفيليسيس: يا سيدي أنا تخرجت من الكنيسة (صلوة القدس) ومحاج تستريح، عن إذنك نصرف.. وقمنا وسلم على نيافة الأنبا ثاؤفيليسيس.. وبالنسبة لي - كانت عادة البابا أن يرسم الشخص قبل انصرافه - فقبلت يده ووضع يده على رأسي ورسمني، لكنه قال: الأنبا ثاؤفيليسيس نسميه إيه؟ شنودة أسقف على الكلية الإكليركية والمعاهد الدينية والوعظ والتعليم، وكانت يده شديدة فوق رأسي، ساعتها إيده كانت جامدة، يعني الواحد كان عامل زي العصفورة، حاولت أن أتملص منها فلم أستطع، ووجدت نفسي

في وضع محرج، الأسفافية ما هي إلا وضع يد ونطق، وقد تم وضع اليد واشترك فيه البابا مع الأنبا ثاؤفيلي، البابا قال النطق، ولكن اشترك الأنبا ثاؤفيلي في وضع اليد.. والتفت البابا إلى الأنبا ثاؤفيلي وقال له: «فصل له الملابس».

وقال لي: لا حل لك ولا أجازة من الروح القدس إنك ترك البطريركية. ووجدت نفسي في حرج.. الأسفافية هي وضع يد ونطق، وهذا الوضع قد تم، وما يحدث يوم الرسامة ما هو إلا الصلاة الطقسية والاحتفالية. لكن في جوهر الرسامة هي وضع يد ونطق باسم..

ونشر الخبر في جريدة مصر: اختيار القس أنطونيوس السرياني ليكونأسقفاً للكلية الإكليركية والمعاهد الدينية والتربية الكنسية، وبعض الناس كانوا يسلمون علي ويقولون يا أبونا، والبعض يقولون يا سيدنا.. ويومها تناولت الغذاء مع أبونا مكاري وهو قمص وأقدم مني في الكهنوت وفي الرهبنة، فكان يعاملني كأسقف ويرفض أن يصلني على الطعام، ولا بد أن أصلني وأقول البركة على الطعام.

ماذا أفعل؟ لم يكن أمامي أن أفعل شيئاً.

والخبر كان له تأثيره على الناس، أتذكر أن شاباً أرسل لي خطاباً، وقال: كيف يمكن أن الراهب القس أنطونيوس الذي

يحب المغارة والوحدة، يتركها ويقبل الأسفافية، وكان يتحدث عن جمال الوحدة التي كنت أتحدث عنها..

وأرسلت أرد عليه:

هذه أمالٍ التي نسيتها هذه أحلامي وقد ضيّعّتها
وكانَت ليلة الرسامة (عشية الباس الاسكيم) هي مساء السبت ٢٩ سبتمبر - أتذكِر إنها كانت أكثر ليلة بكيت فيها في حياتي؛ لأنها كانت نقطة التحول في حياتي. تماماً من حياة الوحدة التي أحببتهما إلى حياة الخدمة التي فيما بعد صرت ألتقي فيها بالآلاف.. وضاعت كل أمالٍ السابقة... وبعد أن كنت أسكن الجبال والمعاير، أصبحت أركب الطائرات وأجوب المحيطات والبحار والقارات وتغييرت حياتي تماماً منذ ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢ م.

ولم تقف أمامي إلا الآية التي وردت في سفر أرميا النبي (١٠: ٢٣)، قال فيها: «عرفت يارب أنه ليس للإنسان طريقه. ليس لإنسان يمشي أن يهدي خطواته»، فالله هو الذي يقود خطوات الإنسان.

العجب أنه في يوم الرسامة، بدلاً من أن يضعوا كرسيًّا واحداً وضعوا كرسيين، وقال البعض: لا بد أنهم سيجلسون شخصاً إلى جوار أبونا أنطونيوس حتى لا يهرب...

ولكن كان الشخص الثاني هو أبونا مكاري السرياني، الذي تَمَّت رسالته في ذلك اليوم أَسْقَفًا للخدمات الاجتماعية باسم الأنبا صموئيل.

الكلية الإكليريكية:

تم فتحها أمام الشعب لحضور المحاضرات... ونظرًا لامتناع المكان بالسامعين ظللت أنتقل من مكان إلى مكان أَرْحَب.. فمن المدرج بقاعة الأنبا رويس إلى الكاتدرائية الكبرى سنة ١٩٦٩ م.

سُمِحَ للفتيات بالالتحاق بها، فأخذن بذلك فرصة أفضل للتعليم الديني مما يساعدهن في الخدمة بالكنيسة واجتماعاتها..

اتسعت الكلية الإكليريكية، فصارت لها فروعًا في الإسكندرية، وشبين الكوم وطنطا، وشبرا الخيمة، والمنيا، ودير المحرق، والبلينا، والأقصر.. بل وأيضاً في بلاد المهاجر..

كثر عدد الطلبة جداً.. وأصبح كثير منهم كهنة ورهباناً.

وفي هذا يعني الشاعر «جرجس رفلة» قائلاً:

(يا فرحة الإكليريكية بابنها أَصْحَى أَبَا الْهَا! يالها من ظافرة)

كثيراً ما كان الآباء المطارنة والأساقفة يدعونني لإلقاء عظات... و zaman كان لازم الوعاظ يكون حافظ العظة ويتكلّم باللغة العربية الفصحى، ولكن أنا كسرت هذا الحاجز وأصبحت

أتكلم باللغة العربية السهلة، لكي تصل المعاني الروحية للعظة بسهولة.. واعتقدت تكون بجانبي بعض البطاقات أكتب فيها النقاط الرئيسية، وأجوب على كل أسئلة الناس.

وقد ظل حب الدير في قلبي، فكنت أقضي نصف الأسبوع في القاهرة والنصف الآخر في الدير.. لم أعش في البرية التي كنت فيها، ولكن قلبي تحول إلى بريه قفراء لا يوجد فيها شيء من العالم!!..

١٤ نوفمبر يوم التتويج

ليست كل أيام الحياة متساوية في قيمتها، إذ توجد أيام تحفر في ذاكرة التاريخ بأحرف من نور... !!

ويعد يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١ م واحداً من هذه الأيام الخالدة. في تاريخ كنيستنا القبطية.

بعد نياحة قداسة البابا كيرلس السادس ٩ مارس ١٩٧١ م.

تم اختيار الأنبا أنطونيوس مطران سوهاج ليكون قائم مقام البطريرك.

وأجريت عدة اجتماعات على فترات متواتلة لانتخاب من يرشحونهم للكرسى المرقسي، وأسفرت عن فوز الأنبا صموئيل والأقباشنودة، والقمص ثيموثاوس المقاري. وقدمت هذه الأسماء الثلاثة للقرعة الهيكلية.

كان يوم الأحد ٣١ أكتوبر ١٩٧١ م مشهوداً حافلاً بالمشاعر بدأ بالقداس الإلهي، وبعد رفع بخور باكر احضره وامايدة ووضعوها أمام الهيكل، ووقف الأنبا أنطونيوس وفي يده الأوراق الثلاثة التي تحمل كل منها اسم أحد المرشحين وأمسك كل ورقة وطبقها بنظام واحد ووضعها في علبة أمام الناس، وختمتها بخاتمه، ووضعها على المذبح لحضر صلوات القدس الإلهي.

بعد انتهاء ألحان التوزيع بدأت القرعة.. أحضروا العلبة وجمعوا الأولاد الصغار، وكانوا تسعة ليأخذ أصغرهم وهو الطفل أيمن منير الورقة المختارة، بعد أن صلّى الناس كيرياليسون ٤٤ مرة، كانت الصلوات تهزُّ الكنيسة، وكان المشهد رهيباً أبكى الكثيرين.

تم إخفاء وجه الطفل وتلبيمه، وسحب الورقة، وأخذها القائم مقام، فكان الأنبا شنودة هو المختار من الله.

حدث في ذلك اليوم:

امتلأت الكاتدرائية المرقسية بالمؤمنين، توافدوا من الصباح الباكر من كل الكنائس وكل الأعمار، لينالوا بركة هذا الحدث العظيم... وبدأت الصلوات برفع بخور باكر وتقديم الحمل حتى قراءة الإبركسيس، تحرّك موكب الأساقفة ومعهم ممثلو الكنائس خارج الكاتدرائية، ليدخل معهم المختار من الله قداسة البابا شنودة يُرْفَع بالصلوات والألحان الكنيسية.

هذا وقد توقفَ الموكب ليسلّم رئيس الشمامسة (د. يوسف منصور) مفتاح الكاتدرائية إلى قداسة البابا... ففتح ودخل مردداً المزמור المئة والسابع عشر: «افتحوا لي أبواب البر...»، ودقّت الأجراس فرحاً وتهليلاً بالبابا الجديد... بعدها دخل قداسته

وسجد أمام باب الهيكل الرئيسي، ولا يمكنك يا صديقي أن تدرك الحب الذي قوبل به قداسته، وعبر قداسته عن مشاعره بأن نظر إلى هذه القلوب المحبة وحياتها وسط عاصفة من التصفيق.

جلس البابا على كرسي صغير، وتلا نيافة الأنبا ميخائيل وثيقة التزكية مؤكداً ثقة الإكليلوس وكل الشعب في اختيار السماء. وبعدها ألبسوه التونية البيضاء، ثم قدموا له الإنجيل فوضعه فوق رأسه، فمنه سيستمد تعاليمه وأحكامه لشعبه.

وقد سلم القائم مقام نيافة الأنبا أنطونيوس إلى البابا الجديد تقليد رئاسة الكهنوت الموقع عليه من أعضاء المجمع المقدس قائلاً: «تسلّم تقليد رئاسة الكهنوت لسنين كثيرة وأزمنة محفوظة بالمجده والكرامة». بعدها شرع الآباء الأساقة في إلباسه بدلة الكهنوت ثم خلع البابا عمامته السوداء، ولبس القلنسوة البيضاء ثم قدموا له التاج فوضعه فوق رأسه، بينما انسابت دموع غزيرة من عينيه.

وقد دعاه الأنبا أنطونيوس ليتسلم «عصا الرعاية من يد الله» والصلب المقدس.. فأخذهما ووضع البخور في الشورية.

اختياره للبطيركية:

تقدّم قداسة البابا ليصعد نحو كرسي السيدة المرقسية ويجلس عليه، بينما يهتف القائم مقام: «أجلسنا الأنبا شنودة بابا وبطيركًا

على الكرسي الرسولي ... كرسي القديس مرقس الإنجيلي «،
وعلت الأصوات مرددة: «أكسيوس .. أكسيوس .. أكسيوس».

وإليك يا قداسة البابا... خليفة المسيح ... حبنا الصريح.

يا من بحبك تحضن في قلبك قلوب كل أبنائك في كل مكان...
وإلى متنه الأعوام..!!!

ما أجمل اللحظات التي فيها أخذ الآباء المطارنة والأساقفة
يُلبسون قداسة البابا شنودة ثياب الكهنوت .. وحين وضع التاج
على هامته، رفع الآباء المطارنة والأساقفة تيجانهم اعترافاً
بسيادته .. وقداسته.

وتلا غبطة البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك
أنطاكيه الطلبة التالية: «ملك الرب واتسح بالبهاء، لبس القدرة
وتجلمل بها» (مز ٩٣: ١).

«وضع على رأسي تاجاً من حجر كريم، وحياة صالحة سأله
فأعطاني كل حين».

وعندما صعد البابا شنودة إلى المذبح ليتسلّم بنفسه الصليب،
وعصا الرعاية ردّد كبير الأساقفة الأنبا أنطونيوس: «تسلّم عصا
الرعاية من يد راعي الرعاة الأعظم، يسوع المسيح ابن الله الحي

ال دائم إلى الأبد، لترعى شعبه وتغذيه بالتعاليم المحبية، فقد ائمنك على نفس رعيته، ومن يدك يطلب دمها».

وبعدها صعدوا به إلى كرسي مار مارقس وأجلسوه عليه وكبير الأساقفة يقول: «أجلسنا الأنبا شنودة باباً وبطريركاً على الكرسي الرسولي، كرسي القديس مارقس الإنجيلي باسم الآب والابن والروح القدس».

ثم ردّد المرتلون، وقدموا إليه إنجيل القديس مارقس وهم يرتلون لحن «تي شوري» ثم لحن «تين ثينو».

وهكذا ظل البابا شنودة حافظاً لتعاليم المسيح.. راعياً أبناءه بعظاته الروحية حتى رحل عن عالمنا الفاني يوم السبت ١٧ مارس ٢٠١٢م عن تسع وثمانين عاماً، قضاها في التأمل والتفكير والعبادة والنصح والإرشاد.

(٢)

شعره

كان معروفاً عن قداسة البابا أنه يقرض الشعر بإتقان، فمتى
بدأت هذه الملكة عند قداسته؟ وكيف قام بتنميتها وصقلها حتى
أصبحا بهذه القوة؟

قال قداسة البابا: «بدأت ملكة الشعر عندي منذ سنة ثانية ثانوي
التي تعادل ثلاثة إعدادي حالياً.. وكان ذلك سنة ١٩٣٨ م، و كنت
وقتها أقرض الشعر بطريقة غير مدرستة، ومن سنة ١٩٣٨ م
تعلمت قواعد الشعر، وأصبحت أنظم شعراً موزوناً، يعني لا
أخجل من أن أسميه شعراً، وكان الشعر الذي أقرضه سهلاً وإن
وجدت كلمة صعبة أحاول أن أتفادها بكلمة سهلة لدرجة أن
بعض التلاميذ الصغار كانوا يحفظونه أيضاً. وأختار الموسيقى
اللطيفة التي تناسب الشعر، أقصد الوزن الذي يناسبه والألفاظ
السهلة التي يمكن أن تستخدم. كنت أقول الشعر الرصين، وفي
نفس الوقت أقول الزجل والشعر الفكاهي وألواناً من هذا النوع.
أتذكر من بين الأبيات القديمة جداً التي ربما أكون قد نظمتها وأنا

تلميذ في ثانوي سنة ١٩٤٠ أو ١٩٤١ م عندما كنت أرى أن بعض الناس أغنياء جداً وبجوارهم فقراء لا يجدون قوتهم، فقلت عن الإنسان الفقير وسط هؤلاء الناس:

حوله الأنهر تجري وبها عذب الماء
وهو صادي تشهى قطرة تشفى صدأه
بُحَّ منه الصوت من قوله دوماً آه آه

وفي إحدى حفلات المدرسة عام ١٩٣٩ م وقفت أنشد قصيدة من تأليفي تم تلحينها وقتذاك كأنها نشيد وطني.. أقول فيها:

تريد الكنانة عزماً قوياً شباباً يضحى وشعباً جديداً
شباباً يعيد بناء الحدود يعيش شريفاً يموت شهيداً
من الآن هيا لنبني اتحاداً ونسئي العداء ونسئي الحقوداً

وفي صغرى - على الرغم من الخجل - كان عندي روح مرح. وفي حفلات الكلية كنت ألقى بعض الأزجال أو الأسعار الفكاهية، مثلاً كانت الجغرافيا صعبة ويرسب فيها الطلبة دائمًا، فكتبت مرة زجاجاً عن الجغرافيا قلت فيه:

حاجة غريبة بادخلها بالعاافية في مخي ما تدخلشني
بنشوف في الأطلس أمريكا وألمانيا وببلاد الدوتش

ورياح مبلولة تجيب ميه ورياح جافة ما تمطرش
ورياح بتسا حل في الساحل تتبع تعريةجة وتمشي
ورياح بتغير وجهتها ورياح تمشي ما تحودش
أنا عقلني اتلخبط بين دي وديه ما أفرقشني
حاجة غريب بادخلها بالعافية في مخي ما تدخلشني
العجب أني بعد ذلك درست جغرافيا.

قصيدة في وسط البحر:

وقال أيضًا: مرة حكاية الشعر دي كانت ستفقدني حياتي.. أذكر
هذه القصة تماماً.. عندما كنت في الجيش، كنا نخرج في طابور
بحر، إما في معسكر بسيدي بشر أو بمعسكر في المندرة.. ولم
أكن أعرف السباحة ولا زلت.. في سيدى بشر كان عمق المياه
على الشاطئ بسيطاً ويستطيع الشخص أن يمشي فيه مدة طويلة
دون أن يجد عمقاً للمياه، وكان البعض قد قالوا لي: إنه عندما
ينام الإنسان على ظهره تماماً ويحيط جسمه ويحيط ذراعيه، فإن
الموجة تحركة دون أن يعوم.. أنا عملت كده تماماً وبسيط
ظهري فوجدت فوق السماء والنجوم وبدأت أولف شعرًا،
تذكرة أني لا أعرف العوم وقلت لنفسي: ماذا سأفعل لو قادتني
الموجة إلى مسافة بعيدة، فكيف سأعود؟.. رحت واقف لقيت

المية كده لحد رقبي.. يعني لو كنت انتظرت دقية واحدة تاني..
كنت خلاص حاكمي خدمتي في كنيسة الأبكار «انتقل من هذا
العالم».. وفضلت أجاهد علشان أصل للشاطئ وكل ما أدوس
الأقي الأرض تجري من تحت مني.. أشكر ربنا أني وصلت
للشاطئ. ولم أعد أؤلف شعرًا وأنا نائم فوق المياه مرة أخرى...

قصيدة على سلم المترو:

وقال أيضًا: أتذكر أني كتبت قصيدة وأنا متشعلق في مترو مصر
الجديدة والهواء يعصف بي وقلت فيها:

قم حطم الشيطان لا تبقي لدولته بقيه
قم بشّر الموتى وقل غفرت لكم تلك الخطى

الشعر والاتجاه الديني والصوفي والروحي:

عندما دخلت في الحياة الدينية العميقه تخلصت من كل
الأشعار القديمة إلا ما بقي في ذاكرتي من بعض أبيات قليلة، وبدأ
الشعر يأخذ ناحية دينية، يعني أعتقد أني في سنة ١٩٤٥ م في سنة
ثانية كلية الآداب قلت قصيدة:

هو ذا الثوب خذيه إن قلبي ليس فيه

عن قصة يوسف الصديق. وعندما كنت في ثالثة كلية الآداب

سنة ١٩٤٦ م كتبت قصيدة:

غريبًا عشت في الدنيا
غريبًا في أساليبي
تحار الناس ما ألفي
نزيلاً مثل أبي
وأفكاري وأهواي
ولا يدرؤن ما بائي

ومن هذه القصائد كان يتضح اتجاهي الديني وأنا طالب في الكلية، وفي سنة ١٩٤٧ م كنت طالبًا في الكلية الإكليريكية، ومن ذلك الحين بدأ شعري يأخذ الاتجاه الديني والصوفي والروحي، وعندما بدأت أكتب في مجلة مدارس الأحد صدر العدد الأول من المجلة في إبريل ١٩٤٧ م، وكان يحمل لي قصيدة هي:
كم قسى الظلم عليك كم سعى الموت إليك

وظلت القصائد بهذا الشكل تتوالى.. وفي الرهبنة كان لدى وقت وأنا في الدير لكي أنسد شعراً، وعندما كنت في المغارة نظمت بعض القصائد حيث كنت في الجبل وتمر على الأسابيع بالمغارة لا أرى وجه إنسان، فنظمت قصيدة «خمسة حب» التي تم تلحينها ويرتلها الناس حالياً والتي أولها قصيدة:

قلبي الخفاق أضحي مضجعك في حنایا الصدر أخفى موضعك
ونظمت أيضاً قصيدة «من تكون»، و «كيف أنسى» وغيرهما.

(٣)

غريب ألا يحظى «شاعر» نابه كالبابا شنودة بدراسات تبين
ديدن شاعريته^(١).. ولكن الغرابة تزول إذا علمنا أن الرجل لم يجر
وراء الشعر.. يتصيد البيت أو البيتين إنما الشعر الذي يلهث وراءه
وينساب على لسانه متدفعاً بأعذب الصور وبديع التراكيب، فضلاً
عن المعنى الذي يتصف بالعمق..

لم يسع البابا شنودة أن يكون شاعراً.. ولكنه قال شعراً بالفطرة
النقية والسلامة اللغوية والموسيقى الشعرية التي لازمت أذنيه منذ
سنوات الصبا.. تعددت قراءات البابا شنودة وكثرت محفوظاته
الشعرية.. فكان ذلك بمثابة النبع الذي تفجرت منه رؤاه الشعرية
الخلاقة.

فمن بوأكير قصائده تلك القصيدة التي كتبها وهو ابن الست
عشرة سنة، وذلك في ذكرى رحيل أمه.. نراه يبكي اليتيم والفقد،
وتنساب الدموع في صمت على خديه، فيقول:

(١) لم يتناول شعر البابا شنودة غير الأستاذ عادل البطوسي بعدد من الكتب
الصغيرة فله الشكر والمنة.

أحـقـاً كـانـ لـيـ أـمـ فـمـاتـ
 رـمـانـيـ اللـهـ فـيـ الدـنـيـاـ غـرـيـباـ
 وأـسـأـلـ يـاـ زـمـانـيـ أـيـنـ حـظـيـ؟
 وـهـلـ أـقـضـيـ زـمـانـيـ ثـمـ أـمـضـيـ
 وـأـسـأـلـ عـنـ صـدـيقـ لـاـ أـجـدـهـ

أـمـ أـنـيـ قـدـ خـلـقـتـ بـغـيـرـ أـمـ
 أـحـلـقـ فـيـ فـضـاءـ مـدـلـهـمـ
 بـأـخـتـ أـوـ بـخـالـ أـوـ بـعـمـ
 وـهـذـاـ الـقـلـبـ فـيـ عـدـمـ وـيـتـمـ
 كـأـنـيـ لـسـتـ فـيـ أـهـلـيـ وـقـومـيـ

المتأمل في المقطع يلحظ فاجعة فقد واليتم، وحالة الحرمان من حضن الأم.. حالة المرارة التي شعر بها ذلك الطفل اليتيم استطاع أن ينقلها للقارئ من خلال ألفاظ تبوح بهذه الفجيعة.. تلك الألفاظ التي امتلأت - بحروف العلة - في إشارة واضحة إلى «علته» الكامنة وراء ذلك فقد.. كما كان لحرف الميم المكسور في القافية إشارة أخرى إلى انكسار ذلك الطفل بفقد عزيز لديه...

أـمـاـ قـصـيـدـتـهـ «ـالـأـمـوـمـةـ»ـ وـالـتـيـ كـتـبـهـ عـامـ ١٩٤٩ـ مـ وـتـضـمـنـ حـوـرـ
 اـثـنـيـنـ وـعـشـرـيـنـ بـيـتـاـ عـبـرـ ثـلـاثـةـ مـقـاطـعـ..ـ فـأـمـاـ المـقـطـعـ الـأـوـلـ فـيـسـيرـ
 فـيـ الـاتـجـاهـ نـفـسـهـ مـصـوـرـاـ حـالـ الـأـمـ مـعـ بـنـيـهـ..ـ وـمـاـ تـصـنـعـ الـأـمـ تـجـاهـ
 أـطـفـالـهـاـ،ـ فـيـقـولـ:

فـيـ اـرـتـيـاحـ مـاـ شـكـوـتـ أـوـ وـهـنـتـ
 قـدـ ضـمـمـتـ الـطـفـلـ حـبـاـ وـاحـتـضـنـتـ
 مـاـ اـحـتـجـزـتـ مـنـهـ شـيـئـاـ وـضـمـمـتـ
 نـامـ فـيـ أـمـنـ وـلـكـنـ قـدـ سـهـرـتـ
 مـاـ تـرـكـتـيـهـ عـلـىـ مـهـدـهـ بـلـ
 كـلـ مـاـ عـنـدـكـ مـتـرـوـكـ لـهـ

ثم تأخذ الفكرة منحى آخر في المقطوعتين التاليتين، فإذا بالأم (هنا) مريم العذراء، وهنا تأخذ الأمومة شكلاً أعمق وبعدًا شمولياً ودلالياً أدق، فنراه يقول:

إن لي طفلاً هو الطفل يسوع
له في أعماق قلبي مذود
كم دعوت الطفل في قلبي وكم
قارعاً دوماً على باب الضلوع
يستغيه في اشتياق وولوع
نال مني كل حبٌ وخشوع

ثم يأتي المقطع الثالث ليبدأ الحوار مع الأم (الكبرى) السيدة العذراء راجياً منها الحديث.. طالباً منها الراحة عن تساؤلاته.. فيقول:

املئي الكون حناناً وحنيناً
حدثينا عن هوى الأم وعن
إيه يا عذراء كم جربت في
أنت يا أماه سرُّ غامض
واسمعينا عن خفاياك اسمعينا
قلبها الحاني حديث العارفينا
مهجة الأم فأي الناس أنت
أنت نبع من حنان حيث كنت

البابا شنودة شاعر مفكّر.. يمكننا أن نضعه في زمرة شعرائنا الرومانسيين - أحياناً - فنراه يلتقط فكرة عابرة فيتأملها بعمق ليصيغها شعراً كما في قوله:

يا تراب الأرض يا جدي وجد الناس طرا
أنت أصلي أنت يا أقدم من آدم عمرا

ومصيري أنت في القبر إذا وسّدت قبرا

أرى هذا المقطع يتناص مع العقاد في قصيده الرائعة «أمنا الأرض» - ربما كان هذا التناص بوعي أو بغير وعي - فيقول العقاد:

سؤال الطفل للأم	أسائل أمنا الأرضا
إلى إدراكه علمي	فتخبرني بما أفضي
إذا ما أنجبت تئد	جزها الله من أم
وتأكل لحم ماتلد ^(١)	تغذي الجسم بالجسم

تتناثر الموضوعات الفكرية والتأملية في شعر البابا شنودة لتكوّن عالماً تمازج فيه العاطفة الوجدانية بالخاطرة الفكرية.. ومن ذلك مثلاً - قوله:

كلها أمس إذا طال الأمد	ما حياتي غير أمس عابر
وغدي يصبح أمساً بعد غد	إن يومي هو أمس في غد

والبابا شنودة شاعر ناسك عابد.. لم ينس للحظة إنه راهب.. خالع عن كاهله مفاتن الدنيا ومباهجهها.. فهو يحيا حياة النسك والعبادة حتى تخادعه.. ففي قصيدة «ذلك التوب» والتي استوحها من قصة النبي يوسف عليه السلام، نرى شاعرنا يقف في خاطر يوسف

(١) ديوان العقاد: ١٤٨.

الصّديق، ويسجل مشاعره إزاء ما تعرض له من امرأة العزيز، فيقول:

هو ذا الثوب خذيه
إن قلبي ليس فيه
أنا لا أملك هذا
الثوب بل لا أدعيه
هومن مالك أنت
لك أن تسترجعيه
فانزعني الثوب إذا شئت
إذا شئت اتركيه
أقسمت ألا تدخليه
إنما قلبي لقد

إقرار من يوسف الصديق على لسان شاعرنا بأن مظاهر الأشياء زائلة، ولكن يبقى الجوهر النقي خالداً مهما توارى فسرعان ما يظهر ويصبح في مواجهة التحديات الشيطانية.

وللبابا قصائد عدة أشبه ما تكون بالأدعية والتراتيل، أو هي مناجاة لله تعالى منها قصائد «يا إلهي»، و«أحبك يارب»، والتي فيها يقول:

أحبك يارب في خلوتي	أنا ناجي فؤادي بعمق الكلم
أحبك يارب في ضيقتي	ووقت احتياجي ووقت الألم
أحبك يارب في توبتي	ووقت البكاء ووقت الندم

ومع تلك الضراعة المقدسة التي تحلّي بها وناجي بها الإله في صفاء روحي ونقاء ذهني .. نراه في قصائد أخرى موجهًا الشباب إلى فضائل الأخلاق والبعد عن الرذائل التي تعمل على الحط

من قدرهم.. كقصيدةه «إن جاع عدوك أطعمه»، والتي يقول فيها:
 إن جاع عدوك أطعمه وإذا ما احتاج تساعده
 ومن الخيرات املأ يده وبكل سخاء تعطيه
 من يزرع خيراً يحصده اغفر للكل تNL خيراً

أو قوله في قصيدة «قم»:

قم حگم الشيطان لا تبق لدولته بقيه
 واغفر لبطرس ضعفه وامسح دموع المجدلية

ومن يقرأ شعر البابا شنودة يلحظ أثر الرهبة والعزلة في شعره..
 كما يلحظ الاغتراب بشكل كبير الأمر الذي تردد صداه على
 مدار أكثر من قصيدة طويلة فضلاً عن المقطوعات القصيرة..
 كما يلحظ المتأمل في شعره مدى ارتباطه بالشعر المهجري من
 أمثال إيليا أبي ماضي، وجبران خليل جبران، ونسيب عريضة...
 وغيرهم^(١).

وهذا الارتباط ربما يعود إلى طبيعة النشأة والتكوين الثقافي، فإذا
 كان الشعراً المهجريون قد تربوا في الكنائس والأديرة والمدارس

(١) ظهر النتاج الفكري والإبداعي للمهجريين في مصر مع مطلع القرن
 الماضي، وقد أخذت كتب جبران خليل جبران تظهر في مصر عام ١٩٠٥ م.
 انظر: جورج صيدح - أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص: ٢٦٦ وما
 بعدها. ط القاهرة ١٩٥٦ م.

الدينية، حيث الصفاء الروحي.. فإن البابا شنودة هو كذلك نشأ وترعرع داخل الكنائس مفضلاً حياة العزلة والاغتراب عن الناس وآيات هذا الارتباط كثيرة جدًا.. فعلى المستوى الدلالي تأمل قوله في قصيدة «كيف أنسى»:

سوف أنسى الأمس واليوم وقد أنسى غداً
وسأنسى فترة في العمر قد ضاعت سدى
غير أني سوف لا أنسى سؤالاً واحداً
حين قال القلب يوماً في ارتباك: كيف أنسى

أو قوله في قصيدة «تائه في غربة»:

يا صديقي لست أدرى ما أنت هنا؟
أنت مثلني تائه في غربة
نحن ضيفان نقضّي فترة
(...). لست أدرى كيف نمضي أو متى
أو تدري أنت ما أنت هنا؟
وجميع الناس أيضاً مثلنا
ثم نمضي حين يأتي يومنا
كل ما أدرىه أنا سوف نمضي

أولاًً تذكّرنا هذه القصيدة برائعة إيليا أبي ماضي «الطلاسم»
التي يقول فيها:

جئت لا أعلم من أين ولكنني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت

وسأبقى مأشياً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

لست أدرى^(١)

أما الملمح الثاني من تأثره بشعراء المهجر استخدامه لطريق المقطوعات الشعرية التي لجأ المهجريون إليها كثيراً، والمتأمل في دواوينهم يلحظ ذلك حتى غدت ملحة من ملامح التجديد في القصيدة لديهم.. وهو الأمر نفسه وجدناه في شعر البابا شنودة، حتى إنه يمكننا القول باطمئنان بأنه سمة من سمات القصيدة لديه.

أما الملمح الثالث والأخير في أوجه الشبه بين شعر البابا والشعراء المهجريين هو الجانب الموسيقي أو العروضي واستخدامه للبحور الصافية دون المركبة، وتنوع القافية.. وهو سُنُوضحه فيما بعد.

والبابا شنودة عاشق للتراث بكل أشكاله العربي والديني والتاريخي، ولا شك في أن التراث يشكل بُعداً جديداً للتجربة الإبداعية لديه «فالتراث بكل أنساطه يُعدُّ أكثر المصادر قيمة وصعوبة ومكانة في آن واحد فهو يشكل لدى الكاتب في استلهاماته وتوظيفه ولدى الناقد أيضاً في رصده وتحليله، بعداً جمالياً وآخر فكريًّا لا يقل قيمة عن وجوده في الواقع الحيّي، وتزداد قيمة

(١) ديوان إيليا أبي ماضي: ١٩١.

التراث في العمل الفني إيجابية كلما كان للكاتب نظر ثاقبة متميزة تجاه التراث ولديه القدرة على السيطرة عليه كأداة فنية موظفة.. لاسيما وأن المبدع يتميز بحساسية ووعي يكون بهما موقفه الذي يتحرّك من خلاله تجاه كل المصادر التراثية فتتكامل الصورة في العمل الأدبي..»^(١)، إذن التشكيل التراثي يتطلب وعيًا به، وفهمًا أعمق لما يحتويه من لحظات توهج بالتجربة ومن معانٍ يلتقي عندها إحساس الفنان/ المبدع في فجرها بمعطيات عصره لتعود هذه المعاني إلى الواقع عودة جديدة لا تنفصل عن الموروث الذي شكلت به، ولا تكرره بمستوى يعيده نفسه.. ويمكن القول أن الشعر العربي المعاصر يمثل نسقاً تراثياً يعبر عن الفرد والجماعة في آن واحد.. وقد اتّخذ التراث في شعر البابا شنودة عدة أشكال.. منها:

* استعمال الأسماء التراثية ذات الصبغة الدلالية.

* استعمال القصص التاريخية المعروفة.

* محاكاة القصيدة القديمة عن طريق المعارضة.

فأما استعمال الأسماء التاريخية ذات الصبغة الدلالية فيتجلى ذلك خلال عدد من قصائد الرجل مثل «مريم ومرثا»، و «من

(١) انظر: محمد إبراهيم مدنى: مسرح عبد الرحمن الشرقاوى - دراسة نقدية - رسالة ماجستير مخطوطة كلية الآداب جامعة الزقازيق، ١٩٨٧ م، ص: ٤.

ألحان باراباس»، و «أبواب الجحيم»... وغيرها من القصائد، وقد استعمل شاعرنا أسماء عديدة منها «نيرون» «دقليديانوس» «باراباس» «مرثا»... إلخ.

واستعمال الاسم في القصيدة له دلالة توضيحية وليست حلية زخرفية تتحلى بها القصيدة، ففي قصيدة «من ألحان باراباس»^(١)، وفيها يصور البابا شنودة قمة التناقض الذي يتحلى به البشر من حكام أو من بيدهم مقاليد الأمور.. فيتركون المخطئ الآثم، ويعاقبون الهدى الآمن، وتتجلى هذه الثنائية الضدية على مدار تاريخ البشرية من حيث الصراع بين الخير / الشر.. وانتصار الناس للشر.. ولكن الشرّ نفسه غير مؤمن بأحقيته في الانتصار والخلاص الآمن، وهو ما عبر عنه باراباس في قوله:

عجّباً ياربّ ماذا قد جرى	وعلام كرههم فيك علاماً
عشت يا مولاي حيناً بينهم	تنزع البغضاء منهم والخصاماً
كنت يا قدوس قلباً مشفقاً	فملأت الكون حبّاً وسلاماً

(١) باراباس: اسم آرامي معناه «ابن الأب» وهو رجل اشتهر بسفك الدماء، و فعل المنكرات، ولما كان اليهود يحاكمون السيد المسيح كان باراباس ملقى في السجن عقاباً على تحريك فتنة بين الشعب.. وكان من عادة الحكومة الرومانية أن تطلق لليهود أسيراً كل سنة في عيد الفصح.. فقد طلبوا من الحاكم إطلاق أسيراً لهم المجرم باراباس وتسليم السيد المسيح إليهم!! انظر: قاموس الكتاب المقدس: ١٥٧.

لأشل وأبأ بين اليتامي
شخصك الحاني وزادت في أذاها
وأنا الخاطئ حُرّ أتباهي؟!
صاحب العار الذي لَوْث نفسه

كنت رجلاً لكسيح ويداً
فلماذا قامت الدنيا على
ولماذا أنت مصلوب هنا
أنا أولئك منك بالصلب أنا

وفي قصيدة «مريم ومرثا^(١)» يتجلّى وجه آخر من الإسقاطات التراثية، فمريم تلك العذراء والواحة الآمنة التي تستظل بها من لفحة الخطايا الآثمة، وهي الظل التي نأوي إليه من عذابات الحياة.. أما «مرثا» فهي المدبّرة للأشغال وهي الموجه إلى الأمور الروحية.. فلك أن تخيل أنك لو آويت إلى بيتك/ دنيا/ مكان حُرمت فيه من مريم ومرثا/ الملاذ الروحي والملجأ الآمن.. الخدمة الروحية، فكيف تكون دنياك.. وكيف تكون حياتك، وهو ما عَبَرَ عنه بقوله:

بساحته ولا مريم
وكيف إذا أتني يُخدم
ومن يجري ومن يسم

دخلت البيت لا مرثا
فمن للرب في البيت
ومن يهفو لمقدمه

(١) مَرْثا: مؤنث الكلمة آرامية معناها «ربة»، وكانت أخت لعاذر ومريم، ويُظن أنها أكبر الثلاثة.. كانت تدبر أشغال البيت.. وكانت ذات حركة أكثر من أختها.. كانت أمينة.. أحبتها السيد المسيح.. وكانت دائمًا توجه أفكارها إلى الأمور الروحية والإيمان بخلاصها. انظر: قاموس الكتاب المقدس: ٨٥١.

ومن يرنو لطلاعه ومن يصفعي ومن يفهم
ومن بكلامه يشدو طوال الليل أو يحلم

أما استعمال القصص التاريخية والتراثية المعروفة فتتجلى في
قصائد «شمدون» «الأمومة» «ذلك الثوب»... إلخ.

ففي قصيدة «ذلك الثوب»، وقد استوحاهها البابا شنودة من
قصة سيدنا يوسف عليه السلام عندما حاولت امرأة العزيز إغواؤه.. فإذا
به يستعيد بالله منها ومن غوايتها الشيطانية.. وعندما أعطاها ظهره
مقرراً الخروج من تلك الغرفة والتي سكن الشيطان أركانها.. وإذا
بها تجذبه من قميصه محاولة استرجاعه مرة ثانية.. لعل وعسى..
ولكنه ماضٍ في طريقه مبتعداً عن الغواية الشيطانية التي تلبست
امرأة العزيز.. فإذا بها تشدّ قميصه محاولة.. وقد باعه محاولاً لها
بالفشل.. ولكن القميص سرعان ما تمزق.. ولكن يوسف ظل
مستعصياً بالله.. التقط البابا شنودة هذه القصة النبوية، وقد
أسقط عليها رموزه الفنية فالثوب / الظاهر.. بينما القلب / الباطن
الإيماني والروحي.. فالظاهر ملك للناس جمياً به يحكمون ومن
خلاله يتعرفون.. ولكن الحقيقة الروحية هي ما وقر في القلب ولا
يستطيع أحد التعرف عليها أو الاطلاع على كنهها.. فيقول:

هو ذا الثوب خذيه إن قلبي ليس فيه
أنا لا أملك هذا الثوب بل لا أدعيه

ثم يقول في سياق آخر:

أنا لا أملك قلبي
إنه ملكٌ لربّي
عبدًا قربيك منه
وكذا لن تملكه
وقد استودعنيه
هو ذا قلبي أسأليه

أما قصيدة «شمدون»^(١)، وهي مستوحاة من قصة شمدون ابن منوح ذلك الشاب القوي.. المحب لوطنه.. القاضي لبني إسرائيل.. يرى البابا شنودة أن القوة مهما كانت لم تدم.. وأن

(١) شمدون: اسم عريي معناه «شمس».. كان قاضياً لبني إسرائيل، مدة عشرين سنة.. كان معروفاً بقوته العجيبة.. وعند اكتمال شبابه تزوج بامرأة من «تمنة»، وهي مدينة فلسطينية.. ثم هجر امرأته بعدما خانته في إفشاءها بعض أسراره للفلسطينيين، وعندما عاد مرة أخرى ليصالحها فوجدها قد تزوجت بغيره.. فانتقم منهم بأن أشعل في مزارعهم النار.. فاقتصر الفلسطينيون من امرأته فأحرقوها هي وأهلها.. ولما رأى شمدون ذلك العمل الوحشي قتل منهم عدداً كبيراً.. ثم ذهب إلى غزة فتعرف بـ «دليلة» امرأة بغي.. وقد احتالت عليه حتى كشفت سرّ قوته العظيمة وعرفت أنه كان في شعره؛ لأنّه كان نذير الرب من بطن أمّه.. فأتى الفلسطينيون عليه وهو نائم وجزوا شعره وأوثقوه بسلاسل من نحاس وقلعوا عينيه، ثم اصطحبوه إلى غزة ووضعوه في السجن.. وعندما أرادوا أن يسخروا منه وضعوه في بيت، ولكنه طلب أن يستند إلى عمودين كانا بجانبه.. ووّقعت يداه عليهما.. ثم صلّى إلى الله وطلب المعونة، ثم قبض على العمودين وانحنى فزعزعهما وسقط البيت على من فيه.. فماتوا جميعاً.. وقد حُسب شمدون ضمن جماعة المؤمنين.. ولم يكن له من قوة العقل كما كان له من قوة الجسم.. كما أنه لم يخل من حب الوطن. انظر: قاموس الكتاب المقدس: ٥٢٠ وما بعدها.

الصحة يعقبها مرض، وأن كل شيء وصل إلى تمامه يبدأ في النقصان فكانت قصيدة «شمثون» الذي تبدل أحواله من قوة إلى ضعف إلى قوة مرة ثانية، ثم كان الموت.. تلك الحقيقة النهاية التي يسعى الجميع إليها ولا فرار منها.. فيقول:

أنا شمثون أم غيري
فأين جلالة القدر؟!
وأين نباهة الذكر؟!
وجيش هارب يجري؟
وأين الطول من شعري؟
هل تدرين ما سري؟

أنا الجبار أم شبحي
إذا ما كنت شمثونا
وأين كرامة القاضي
وأين اللحى في كفي
وأين النور من عيني
حنانك يا رحى الطاحون

سلسلة من التساؤلات العجيبة التي يحترق فيها أولو الألباب عندما تبدل الأحوال وتتغير الملامح ويصير القوي ضعيفاً، والفتى شيخاً كبيراً، ثم تكون الإجابة والتي تبدو في الحيرة الدائمة:

أجبيبي إنني مصحٍ فقد حُيِّرت في أمري !!

أما محاكاة القصيدة القديمة من حيث الشكل فتضحك من خلال الشكل العمودي للقصيدة مع الالتزام بقافية واحدة، وذلك في بعض قصائده مثل «حنانك يارب»، و«أحبك يارب»، و«ياءاللهي»، و«شمثون»، و«كيف صرت»، و«سائح»، و«من تكون»... إلخ.

كما تتضح محاكاة التراث من خلال معارضه^(١) البابا شنودة لقصيدة الحصري القيررواني، وهي قصيدة ذائعة الصيت.. مدح بها الإمام الحصري الأمير أبا عبد الرحمن محمد بن طاهر صاحب «مرسية»، وتضم نحو تسع وتسعين بيتاً من بحر المتدارك في صورة الخبر.. بدأها بقوله:

أقيام الساعة موعده	ياليل الصبُّ متى غده
أسف للبين يردد	رقد السمار فأرّقه

وقد بلغت هذه القصيدة من الشهرة والذيع مالم تبلغه قصيدة أخرى، الأمر الذي جعل عدد معارضاتها نحو مائة معارضه^(٢)، وقد عارضها البابا بقوله:

إذا ما احتاج تساعده	إن جاع عدوك إطعمه
ومن الخيرات املأ يده	ويكلّ سخاء تعطيه

ليس معنى ذلك أن شعر البابا شعر تقليد ومحاكاة أو ظل شعره أسيراً في القالب التقليدي.. ولكن نجد في شعره مسحة القديم

(١) المعارضة هي أن ينظم شاعر قصيده على منوال قصيدة أخرى سابقة عليه وزنا وقافية وأحياناً المعنى.

(٢) جمع كل من محمد المرزوقي، والجيلاني بن الحاج معارضات قصيدة الحصري، وقد وصلت إلى نيف وتسعين معارضه.. وقد صدر الكتاب بلبيبا وتونس عام ١٩٧٦ م.

بأصالته وجدته ولغته الرصينة، بينما نجده مجدداً في صوره وشكل قصيده وإيقاعاته الموسيقية..

فالنسبة لشكل القصيدة الجديدة.. فالمتأمل في شعره يجد أنه كثير ما يلتجأ إلى شكل المقطوعات الشعرية.. لكل مقطع قافية خاصة به.. وهو ملمح نجده في شعر الرومانطيكين وشعر المهاجرين، ومن ذلك قصائد «همسة حب»، و«من ألحان باراباس»، و«قم»، و«الأمومة»، و«هذه الكرمة»، و«أبواب الجحيم»، و«أنا يا نجم»، و«كيف أنسى»... إلخ، وهو ما يقودنا إلى دراسة الإيقاع في شعره.

يقال: إن الشعر يكتسب خصوصيته بتشكيله الصوتي الذي يشير في المتلقي كثيراً من المعاني.. ولذا فإن معنى القصيدة إنما تشيره بناء الكلمات كأصوات أكثر مما تشيره بناء الكلمات كمعانٍ^(١).

فالمعنى الكامن في القصيدة إنما يفصح عنه تتابع الأصوات في نسق منتظم على وجه خاص، وأن القصيدة لا تستمد قيمتها من أنها أداة توصيل لمعنى معين - فقط - إنما تكمن قيمتها - أيضاً - من حضورها الذاتي وشكلها الحسي في ظل العلاقات الصوتية ل كلماتها.. فالعناصر الصوتية ليست رموزاً المدلولات إنما هي بتشكيلها (الإيقاع) مع غيرها كالتركيب النحوي والتصوير...

(١) انظر: أرشيبالد مكليش، الشعر والتجربة، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص ١٩.

كل هذه العناصر تجتمع لتكون النص الشعري مع ملاحظة قصد المبدع، أي أن المبدع حينما يتخيّر معانيه إنما يتخيّر كلماته التي تتناسب مع حجم هذه المعاني، ولم يكن هذا الاختيار في الكلمات اختياراً اعتباطياً وليد المصادفة، إنما هو مقصود يؤدي المعنى بحروفه، وينقل الإحساس بإيقاعه الصوتي.

وفي دراسة الإيقاع الشعري لا نقف عند عروض الخليل وزناً وقافية، إنما نتجاوزه إلى ألوان البديع المختلفة في النص الشعري من جناس وترصيع ومقابلة وتكرار... إلخ.

فالوزن يمثل أحد العناصر الأساسية المكونة والدلالة في النص الشعري، ولا يمكن الوزن القيام بهذا الدور في ظل النظرة التقليدية للعروض العربي، وأنه قوالب ثابتة ومحددة نقيس من خلالها رداءة النص وجودته، إنما ينبغي أن يسهم العروض مع غيره في تشكيل التجربة الشعرية.. بمعنى أن العروض بتفاعلها وزحافاتها وعلمه يسهم في نقل الأحاسيس والمشاعر من المبدع للمتلقي.. أي أن التشكيل الوزني يتدخل مع التشكيل الصوتي واختيار الألفاظ.. ولهذا حينما ندرس الوزن العروضي ليس لكونه ضابطاً للإيقاع الموسيقي، بل لكونه مكوناً من مكونات النص يسهم بدرجة أو بأخرى في نقل الحالة النفسية والشعرية والوجدانية من المبدع إلى المتلقي^(١) فهو - الوزن - جزء من سياق المعنى ومتكم له.

(١) د. محمد سالمان، الإيقاع في شعر الحداثة، دار العلم والإيمان، ٢٠٠٨م،

ويمكّنا أن نقوم بإجراء إحصاء مسحٍ يوضح نسب استخدام البحور الشعرية في قصائد البابا شنودة في هذا الديوان، وهي كالتالي:

م	اسم البحر	ال المقاطعات	عدد الأبيات	عدد
- ١	الرمل	٢٤	٤٠٦	
- ٢	الوافر	٦	٨٩	
- ٣	المتقارب	٤	٣٨	
- ٤	الكامل	٢	٢٣	
- ٥	المتدارك «الخبا	١	١٣	
- ٦	الرجز	١	٨	
المجموع				٣٨
٥٧٧ بيتاً				

من خلال الجدول الإحصائي السابق يمكننا ملاحظة:

* الإحصاء السابق يمثل البحر في صوره المختلفة الصحيح والمجزوء.

* سيطرة البحور الصافية/ البسيطة على التجربة الإبداعية

للبابا شنودة.. سيطرة كاملة، فلم يلْجأ الرجل للبحور المركبة مطلقاً.

* على الرغم من سيطرة البحور الصافية على التجربة؛ فإنه لم يركب بحر الهزج، على الرغم من كونه أحد البحور المهمة في منظومة الإبداع العربي.. وقد أخطأ عادل البطوسي حينما عدَ كلاً من قصائد «غريب»، «مريم»، «شمشون»، «في جنة عدن» من الهزج^(١) إنما هي من مجزوء الوافر، أما «جنة عدن» فهي مزيج من الوافر والرمل.

* سيادة بحر الرمل على التجربة الإبداعية للبابا شنودة، من حيث عدد المقاطع، وذلك بنسبة ٦٠٪، أو من حيث عدد الأبيات، وذلك بنسبة ٧٠٪ من إجمالي عدد الأبيات تقريباً.

* سيطرة بحر الرمل - بعنته المعهودة - إضافة إلى استخدامه البحور الصافية تؤكد انتماء البابا لحركة الشعر الهجري والرومانطيكي التي تفضل هذه الأوزان على غيرها.. لما لهذه الأوزان من غنائية مفرطة تتلاءم مع التراتيل والإنشاد الديني الذي يهدف إليها البابا في شعره.

* لم تزلق قدمـاـ الرجل كما اـنـزلـقـ المـحدثـونـ منـ استـعمالـ

(١) عادل البطوسي: البابا شنودة شاعراً، ص: ١٩

الرجز والمدارك بكثرة فائقة في شعرهم، الأمر الذي جعلهما أكثر البحور استعمالاً في العصر الحديث، أما هما لدى البابا يدخلان في دائرة الاستعمال النادر.. مما يؤكد أن شعره يمثل سياقاً خاصاً به غير سياق أبناء عصره.. كما يؤكد إنه لا ينظم الشعر إلا إذا فاضت به المشاعر حقاً.

أما بالنسبة للقافية.. فيمكننا القول بأنها - القافية - تمثل شكلاً ولو نماً من ألوان التكرار الصوتي في خاتمة البيت الشعري، وهي معاودة لنغمات أصوات معينة تختلف عن النغمة والصوت الأساسي في البيت، وينبغي أن يكون بينها تشابهاً، لكن تشابه أصوات مع اختلاف المعنى^(١).

والقافية وهي خاتمة البيت تجعل من المتلقي متظراً توافق الأصوات الأخيرة وما يترتب عليها من إيقاع نغمي، فهي إذن ذات وظيفتين إحداهما إيقاعية نغمية تهدف للمتعة الموسيقية، والأخرى دلالية تهدف لإتمام المعنى وتوصيله إلى المتلقي.. ويمكننا دراسة القافية من خلال الجدول التالي:

(١) المصدر السابق: ٩٠

صفته	عدد تكراره	الحرف	م
مجهور	٨٧	ن	١
مجهور	٧٠	د	٢
مهماً	٦٠	ك	٣
مجهور	٥٦	ر	٤
مجهور	٥١	ب	٥
مهماً	٤٨	هـ	٦
مجهور	٤٣	م	٧
مجهور	٢٩	ي	٨
مجهور	٢٦	ع	٩
مختلف في صفتها بين الجهر والهموس	٢٤	أ	١٠
مهماً / مهماً	٢٠ لكل حرف منهما	ت / س	١٢، ١١
مجهور	١٦	ض	١٣
مجهور	١٥	ل	١٤
مهماً	٧	قـ	١٥
مهماً	٦	قـ	١٦

من خلال الجدول السابق يمكننا ملاحظة ما يلي:

* استخدام البابا شنودة نحو ستة عشر حرفًا روايا لقصائده.

* سيطرة الحروف المجهورة - تسعه أحرف - على الحروف المهموسة.. إذ وردت نسبة المجهورة نحو ٦٨,٥٪ من إجمالي نسبة حروف القوافي، بينما اكتفت نسبة المهموسة بنحو ٢٧,٥٪ تقريبًا.. بينما ورد حرف (أ) المتنازع عليه بين الجهر والهمس بنسبة ١,٤٪.

* سيطرة الحروف المجهورة على القافية له دلالة.. فالصوت المجهور أوضح في السمع وأقوى من الأصوات المهموسة، وهذا يعني حرص البابا على أن يكون إيقاع القافية واضحًا في السمع، بهدف إحداث التأثير على المتلقي وجذبه إليه.

* يلاحظ أن حركة القافية قد وردت على الترتيب التالي: السكون ثم الكسر، ويحتلان نسبة أكثر من ثلثي الإبداع الشعري للبابا، ثم يأتي الضم فأخيرًا الفتح.. ولا شك أن القافية الساكنة لها وقوعها الغنائي في نفس المتلقي، خاصة أنها قد تسبق بساكن.. فتكون القافية متهدية بساكين.. كما في قوله:

كل ما هو لك صمت وسكونٌ وهدوء يكشف السرَّ المصنونْ
غير وجه الله ذي القلب الحنونْ اعتزلت الناس حتى ما ترى

* سيطرة الأسماء على القافية، فقد وردت الأفعال في القوافي بنسبة ضئيلة الأمر الذي يعني ثبات الفكرة لدى البابا شنودة.. كما يؤكّد انتمامه للجذور العربية.. إذ تصدرت الأسماء قافيةً لمنظومة الشعر العربي القديم منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا الحالي.

* يلاحظ أن البابا تأثر كثيراً بالموشحات الأندلسية.. فكثيراً ما نظم على أشكالها فتجد القافية المتنوعة في القصيدة الواحدة.. لكل مقطع قافية عدا بيت أو بيتين في نهاية المقطع يتحدد في قافية مع نهايات المقاطع الأخرى كما في قصيدة «من الحان بارباس»، «قم»، «الأمومة»، «هذه الكرمة»، «أبواب الجحيم»... إلخ.

البابا شنودة مولع بالإيقاع الشعري، الأمر الذي تأخذه الموسيقى الشعرية، فينساب وراءها.

ولذا بذلت لديه عدّة ظواهر إيقاعية كان أهمها التكرار.. الذي يأخذ أشكالاً متنوعة نذكر منها: تكرار الكلمة الواحدة، والتي تبرز فكرة الإلحاح لهذه الكلمة، وكأنها قطب الراحا، فهي مناط الدلالة، من ذلك قوله في قصيدة «ذلك التوب»:

قصة الطاعة والمد	يَحْ وَالْبَنْ الْمَعَدُّ
طاعة غنيّ بها العا	لَمْ مِنْ عَهْدِ الْعَهْدِ
طاعة أُورثَتْهَا قد	أَصْبَحَتْ عَنْوَانَ مَجْدِي
طاعة لَهُ لَا لِلشَّرِّ	إِنَّ الشَّرَّ يُرْدِي

طاعة للروح لا للجسم إن الجسم عبدي
سأطيع الله حتى لو أطعـت الله وحـدي

لاحظ تكرار كلمة (طاعة/ سأطيع/ أطعـت) (عهد/ لعـهد)
(للـشـر/ الشـرـ) (للـجـسـم/ الجـسـمـ)، كل هذه الكلمات تمثل
إـلـحـاحـاـ من الشـاعـرـ مما جـعـلـهـاـ في بـؤـرـةـ اـهـتـمـامـهـ، وـمـنـ ثـمـ نـقـلـهـاـ
لـمـتـلـقـيـ عـبـرـ آـلـيـةـ التـكـرـارـ الفـنـيـ.

* وقد يكون التكرار تكرار حرف معين بهدف إحداث جرس
موسيقي يبنيه المتلقي كما في قوله:

سوف أنسى الأمس واليوم وقد أنسى غدا

وسأنسى فترة في العمر قد ضاعت سدى

غير أني سوف لا أنسى سؤالاً واحدا

لاحظ تكرار حرف السين نحو عشر مرات في ثلاثة أبيات فقط.

* وقد يكون التكرار تكرار تركيب نحوي بنائي، كما في قوله:

أنت لم تنصت إلى الحياة بل أخطأت أمي وأصـفتـ لـنـدـاـهـاـ

أنت لم تقطـفـ منـ الجـنـةـ بل قـطـفتـ أمـيـ حـرـاماـ منـ جـنـاـهـاـ

لاحظ بناء البيتين المكون (أنت) المبـدـأـ، ثم الجـمـلـةـ المـجـزـوـمةـ
(بلـمـ) الـوـاقـعـةـ خـبـرـاـ، ثم حـرـفـ الجـرـ (إـلـيـ / منـ)، ثم المـجـرـورـ

الحياة/ الجنّة)، ثم حرف العطف (بل)، ثم يأتي الشطر الثاني المبدوء بفعل ماض (أخطأت/ قطفت) المسند لثاء التأنيث، ثم الفاعل (أمي)، ثم النهاية بالجار وال مجرور (لنداهما/ من جناها)، كل هذه الأشياء المكررة تؤكّد على فكرة البابا التي يريد جذب المتلقي إليها.. كما تهدف للمتعة الموسيقية.

وقد يأخذ التكرار ألواناً وأشكالاً أخرى يمكن للقارئ التقاطها عند قراءته لهذه القصائد.

* وعلى الرغم من شاعرية البابا المتدايقه بعذوبة وشاعرية مرهفة فإنه لم ينج من أشياء في قصائده.. فهو - مثلاً - لم يصرّع قصائده إلا القليل منها إذ وردت معظم قصائده غير مصرّعه.. ومعلوم أن التصرّع يعطي إيقاعاً موسيقياً جذاباً في مطلع القصيدة. كما يلجم البابا أحياناً للضرورات الشعرية المجازة كما في قوله:

نحن ضيفان نقضي فترة ثم نمضي حين يأتي يومنا لجأ البابا في قوله (نقضي) إلى تشديد الضاد حتى يستقيم البيتعروضياً لا شك في أن مثل هذه الهنات تؤكّد صحة القاعدة التي نقيس عليها، وهي أشياء لم يفلت منها فحول الشعراء العرب قدّيماً من لدن أمير القيس، وحتى عصرنا هذا، مروراً بالعصر الأموي والعباسي والعصور المتأخرة..

وقد حاول البابا شنودة الولوج للمسرح الشعري.. فكتب مسرحيته القصيرة (في جنة عدن)، والتي تتكون من منظرين اثنين.. وقد استوحاها من قصة (آدم وحواء) عليهمما السلام وصراعهما مع الحية.. وتأكد هذه المسرحية القصيرة على شاعرية البابا المتدفعه واستخدامه لآلية السرد القصصي، وحبك الأحداث ورسم الشخصيات وغيرها من فنون المسرحية الشعرية.

وأخيراً.. لقد ذهب البابا شنودة بجسده، ولكن بقيت روحه خالدة بيننا وبقي شعره الذي يمثل تأملاً له الفكرية العميقه.. بقى شعره ليؤكد أن الشعر باق مهما توارت عن الأعين الأجساد.

د. محمد سالمان

القاهرة في: ٢٤ / ٤ / ٢٠١٢ م.

وَلَمْ يَرَهُمْ بِهِمْ مُنْتَهٍ لَّا يَرَوْنَاهُمْ
وَلَمْ يَرَهُمْ بِهِمْ مُنْتَهٍ لَّا يَرَوْنَاهُمْ

وَلَمْ يَرَهُمْ بِهِمْ مُنْتَهٍ لَّا يَرَوْنَاهُمْ
وَلَمْ يَرَهُمْ بِهِمْ مُنْتَهٍ لَّا يَرَوْنَاهُمْ
وَلَمْ يَرَهُمْ بِهِمْ مُنْتَهٍ لَّا يَرَوْنَاهُمْ

وَلَمْ يَرَهُمْ بِهِمْ مُنْتَهٍ لَّا يَرَوْنَاهُمْ

١٢٢٩٢٩٣٦٩٦٣

الديوان

من تکون؟

نظمت هذه القصيدة في المغاربة سنة ١٩٦٠ م

(من الرمل)

وهدوء يكشف السر المقصون
غير وجه الله ذي القلب الحنون
لم يعاودك إلى الكون الحنين

كل ما هو لك صمت وسكون
اعتزلت الناس حتى ما ترى
وتركت الكون بل أنسيته

• • •

يشتهي المتعة فيه التافهون
كل ما فيه سيفنى بعد حين
يتلذذى بـلـظـاهـهـ الـأـمـلـوـنـ
أنت روح فـرـأـ منـ تـلـكـ السـبـجـوـنـ

هل ترى العالم إلا تافهاً
كل ما فيه خيال يمحى^(١)
هل ترى الآمال إلا مجمراً
لست منهم، هم جسوم بينما

• • •

ويقول البعض كلا بل جنون
مثلكما شاء الهمو يفتكرون
منهج مختلف يضطربون

قد يقول البعض هذى حكمه
فأترك الناس إلى أفكارهم
لك نهج مفرد والناس في

* * *

(١) بالشطر اضطراب عروضي.

أنت حسن تشهاه العيون
نذرني الآمال والكون يهون
اشتهي الخالق يوماً أن تكون
يسكب النسوة في القلب الأمين

يا شبيه الله تدنيه لنا
أنت رمز كل مانبصره
أنت رمز لحياة طهرت
أنت لحن الروح يسري هادئاً

* * *

أنت سرٌ ليت شعري من تكون
أي شيء فيه لي غير الظنون
يختلي الأعماق في صمت رصين
قدس أقدسه إلا الصامتون

أنت قلب هائم في حبه
أنت سر لست أدرى كنهه
أنت روح سابق في عمقه
إن في صمتك سرًا لن يرى

* * *

أنت سرٌ ليت شعري من تكون
أي شيء فيه لي غير الظنون
يختلي الأعماق في صمت رصين
قدس أقدسه إلا الصامتون

أنت قلب هائم في حبه
أنت سر لست أدرى كنهه
أنت روح سابق في عمقه
إن في صمتك سرًا لن يرى

* * *

أنت سرٌ ليت شعري من تكون
أي شيء فيه لي غير الظنون
يختلي الأعماق في صمت رصين
قدس أقدسه إلا الصامتون

إلى الكنيسة

أبواب الجحيم

نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٤٦ م

(جزء الرمل)

كم سعى الموت إليك
وتعذيب وضنك
بمسامير وشوك
طرdock ونفوك
وبهتان وإفك
ضدّ كفران وشرك
دائماً في أذنيك
حين قال الله عنك
سوف لا تقوى عليك

كم قسا الظلم عليك
كم صدمت باضطهاداتٍ
كم جرحت كيسوع
عذبوك وبنيك
ورميت بأكاذيب
عجبًا كيف صمدت
هو صوت ظلّ يذوي
يشعل القوة فيك
إن أبواب الجحيم

* * *

لست في أرض ولدت
قد ولدت في السماء

لست من طين وماء	أنت من روح طهور
أنت نور وضياء	أنت حقٌّ أنت قدس
إنما ليس انتهاء	لَكَ حَقًا ابتداء
ألف أنت وباء	إِنْ سَئَلْنَا عَنْكَ قَلْنَا
غير ينبع الدماء؟	مَنْ رَوَاكَ؟ هَلْ رَوَاكَ
غير أقنوم الفداء؟	مَنْ حَمَاكَ؟ هَلْ حَمَاكَ
إنما المصلوب معك	فاطمئنِي واستريحِي
سوف لا تقوى عليك	إِنْ أَبْوَابَ الْجَحِيمِ

* * *

فهو بالخبرة يعلم ^(١)	اسألي عهد المعزٌ
حرَّكت المقطم	اسأليه كيف بالإيمان
وإذا شئت تحكم	جبل قد هرَّزَ منك
قلَّب التاريخ تفهم	أيها الناسِي رويدا
إن ربَّ القبط أعظم	قل لمن يدعى عظيماً

(١) في فترة المعز لدين الله الفاطمي، حدثت معجزة نقل جبل المقطم، وذلك في أيام الأنبا إبرام، وسمعان الخراز.. انظر: تاريخ الكنيسة القبطية في القرن العاشر والحادي عشر.

إنما في الحق ضيف
بالدين قد داس جهنم
فإن الروح أكرم
قائلاً في غير شك
سوف لا تقوى عليك

كل قبطي ودبع
لا يخاف الموت إذ
وهو لا يهتم بالجسم
وهو يعطي الروح أيضاً
إن أبواب الجحيم

* * *

ت من القتل يداه
بدمائكم مقلتاه
واسألي أيضاً سواه^(١)
وقضاة وولاه
إلى صدر الرماه؟
حك قد مات القضاه؟
وبقيت في الحياة
من عجز العتاه

اسألي نيرون هل كل
وهل التذت وقررت
واسألي دقليانوسا
اسألي الكل ملوكا
أو حقاً نفذ السهم
أو حقاً قبل أن يقضي على رواه
مات طاغ وطغاه
وسخرت في حمى الصخرة

(١) دقليانوس: عاشر الأباطرة الرومانيين.. بدءاً من نيرون الإمبراطور الروماني.. وفي عصره نالت المسيحية أشد ألوان الاضطهاد.. وكان ذلك في صدر القرن الرابع.. انظر: تاريخ الكنيسة القبطية.

وظفرت بالنجاه!
يأس الظالم منك
سوف لا تقوى عليك!

عجبًا كيف بقيت
واحتملت الظلم حتى
إنَّ أبواب الجحيم

* * *

هذه الكرمة

نظمت هذه القصيدة في سنة ١٩٤٨ م

(من الرمل)

صلة:

هذه الكرمة يا مولاي من غرس يمينك
نبت من شوكة كانت على طرف جبينك
وروها دمك القاني وسيل من جفونك
ورعاها حُبُّك الصافي وذاقت من حنينك
فنمت في جنة الإيمان تحيا في يقينك
ومضت تحمل للأقباط من أثمار دينك

* * *

غير أن الريح يا مولاي قد طاحت بغصنِ
شرَّدت طيره في الكرمة من ركن لركنِ
طار لا يشدو ولكن شاكياً من ذا التجني

أنت يا من قلت من يمسكمو اقد مسَّ عيني
 فرّح الأطيار في الكرمة وامح كل حزن
 واصلح الأمر فهذا الغصن من أقوى غصونك
 هذه الكرمة يا مولاي من غرس يمينك

* * *

ليس لي يا خالقي الجبار أن أفهم قصدك
 فغبيُّ أنا يا قدوس والحكمة عندك
 غير إنَّا قد ترکنا من لنا يارب بعده؟!
 ليس إلا وعده الماضي فهل تذكر وعدك؟
 أنت لا تنساه مهما نسى الكرام عهده
 كيف تنسى إبرام مختارك أو يعقوب عبده؟^(١)
 كيف تنسى الحب والإشراق أو ماضي حنينك
 هذه الكرمة يا مولاي من غرس يمينك

* * *

(١) إبرام: هو نبي الله إبراهيم عليه السلام.

نحن منقوشون في كفّك لا تخشى اضطرابا
 نحن أخطئنا ولكن سوف لا نفني عقابا
 هوذا الرحمة تنصبُ من الأب انصبابا
 كلما نغلق باباً تفتح الرحمة ببابا
 آه يا مولاي يا من عرف الخلُّ شرابا^(١)
 شعبك المسكين يا قدوس قد قاسي العذابا
 انظر الكرمة بعد الخصب قد أمست خرابا
 واسفقاليوم عليها فهيء لا تحيى بدونك
 هذه الكرمة يا مولاي من غرس يمينك

* * *

(١) شعر السيد المسيح وهو على الصليب بالعطش الشديد. وقال: أنا عطشان! فبدلاً من أن يقدموا له ماء ليسد رممه، قدموا له خلاً فرفضه.

أبطال

إلى الأبطال الذين أدركوا سر
الحياة الحقيقية فهتفوا مع القديس
بولس «لي الحياة هي المسيح
والموت هو ريح، لي اشتاء أن أنطلق
وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدًا».

نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٤٧ م

(من الرمل)

وهزأتم بالطغاة الملحدين
قد سكتتم في سماء الخالدين
بيسوع هز عرش الكافرين
قدوة تبقى على مرّ السنين
مذبح الحق جريئاً لا يلين
مرّ بالدنيا مرور الزائرین

نلتكم الأمجاد في دنيا ودين
لم تموتوا أيها الأبطال بل
لم يمت من قاوم الكفر ومن
لم يمت من صار باستشهاده
لم يمت من قدم الروح على
لم يمت كل غريب ههنا

* * *

عجبًا كيف صمدتم للطغاة في ثبات أدهش الكون مداده

هلرأيتم فيه إكليل الحياة؟
في انتظار، فاستبقتم للقاء؟
قد دعاكم فاستجبتم لدعاه؟
ونسيتم كل شيء ما عداه؟^(١)
راح يهوي فاصطفتم لحماه؟
نستطع حسبانكم في المائتين
قد سكتتم في سماء الخالدين

أي شيء حبّ الموت لكم
أم بصرتم بيسوع واقفا
أم سمعتم مثل همس الوحي من
أم تذكرتم صليب الناصري
أم تخيلتم عمود الدين قد
أيما قد كان داعي الموت لم
لم تموتوا أيها الأبطال بل

* * *

كيف جاءتكم جموع الشهداء؟
أيها العزّل في ساح الدماء؟
لم يلق يوماً ببناء السماء؟
ودعاء مستجاب ورجاء
يرجع الموتى ويشفى الضعفاء
أظلم الكون وقل الأتقياء
يُخفق القلب ويدعو في حنين:
قد سكتتم في سماء الخالدين

هذه القوة في غير انتهاء
أيُّ سيف قد تسلحتم به
هلرأيتم في دروع الأرض ما
تسلحتم بقلب طاهر
وبإيمان قوي قادر
ألهمنا بعض تقواكم فقد
وبقينا كلما ذكركم
لم تموتوا أيها الأبطال بل

(١) صليب الناصري: هو صليب السيد المسيح، وُدُّعى بالناصري؛ لأنَّه تربى بمدينة الناصرة بالجليل.

تحية للشعر

وابأنت..

«ألقيت هذه القصيدة في حفلة

التأبين التي أقامتها اللجنة العليا

لمدارس الأحد في يوم الأربعين لانتقال

طيب الذكر المتنيع حبيب جرجس»

(الموافق ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥١ م).

(من الرمل)

هذه دنياك: أشواك وصلب

أنت أبهى من رسول، أنت قلب

عاش جيل كامل أو عاش شعب

أنت عطف أنت رفق أنت حب

عشنا بالحب على صدرك نحبك

لك فوق الكل يا قدس رب

هذه تقواك: إيمان فحب

أنت، من أنت؟ رسول ههنا؟

أنت قلب واسع في حضنه

أنت نبع من حنان دافق

وابأنت ونحن يا أبي

لك أبناء كثار إنما

* * *

ووديعاً ليس في ذاته ضعف

يا قويًا ليس في طبعه عنف

كنت تنسى الشرَّ للجاني وتعفو
زجره حبٌ وفي صوته عطفٌ
ولسان أبيض الألفاظ عفٌ
تذكرة السوء إذا ما حلَّ وصفٌ
تصلح الأعوج والأكدر يصفو
لك صدرٌ واسع الأرجاء رحبٌ
عشنا بالحبٌ على صدرك نحبو

يا نبيلاً كلما عوديت كم
يا حكيمًا، أدب الناس وفي
لك أسلوب نزيه طاهرٌ
لم تnel بالذم إنساناً ولم
إنما بالحبٌ والتشجيع قد
هكذا كنت حبيباً شائعاً
وأباً كنت ونحن يا أبي

* * *

يمتلك من قنية الدنيا حطاماً
وازدرى المال ولم يبد اهتماماً
خير أقداسه فأظلم اظلماماً
ورعاة جمعوا المال حراماً
من رضيع لم يوفوه فطاماً
إن أغنى الناس من عاشوا كراماً
إنما التخزين، التكوييم عيبٌ
عاش بالحبٌ على صدرك يحبو

يا فقير عبر الدنيا ولم
عُرض المال عليه فأبىٌ
في زمان زحف المال إلىٌ
أنت أغنى من ملوك ورثوا
خطفوه من فمِّ الجوعان بل
زاهداً عشت كريماً فاضلاً
ليس عيباً أن تولى هكذا
أنت أغنى ببنيين كلهم

* * *

كتاب دينك في رحمة لغيمك

في نعيم الله في حضن الجدد
واللحن ينساب مع القلب الودود
مقدس الأبكار في المجد العتيد^(١)
كنت أيضًا في مماتي كالشهيد
نعمه الله لذا النشاء الجديد
يحملون العبء في جيل عنيد
إننا أهل وأحباب وصحاب
عشنا بالحب على صدرك نحبه

في سلام القلب نم في راحة
واسمع الأنغام من داؤد
واشهد استيفانوس الشمامس في
قل له قد عشت في نهجك بل
قل لآبائي صلوا واطلبوا
اذكروهم أنني خلفتهم
هكذا كن مثلما كنت لنا
واب أنت ونحن كلنا

* * *

(١) استيفانوس الشمامس: كان رئيساً للشمامسة في عهد تأسيس الكنيسة الأولى، وقد حُكم عليه بالرجم، فشخص إلى السماء فرأى مجد الله... فكانوا يرجمونه وهو يدعوه قائلًا: لا تقم لهم هذه الخطية. انظر: أعمال الرسل

إصحاح ٦ و٧.

نشيد وطني

كتب هذا النشيد سنة ١٩٣٩ م

(من المتقارب)

شباباً يضحى وشعباً جديداً
يعيش شريفاً يموت شهيداً
وننسى العداء ونسى الحقدوا
لحرق العدو نكون وقوداً
إلى سلم المجد نرقى صعوداً
خذوه شعراً خذوه نشيداً

تريد الكنانة عزماً قوياً
شباباً يعيد بناء الحدود
من الآن هيا لنبني اتحاداً
وإذا ما أراد الدفاع جحيمياً
أهذى الجموع تعالوا سوياً
هتاف الحماسة مني أقبلوه

* * *

أغلق الباب

(من الرمل)

أغلق الباب وحاجج في دجى الليل يسوعا
واملاً الليل صلاةً وصراءعاً ودموعاً

أيها الحائر يا من تهت في فكر عميق
تسأل الناس وتشكو صارخاً أين الطريق؟

هل وجدت الحلّ يا مسكين والقلب الشفيف
هل أزال الناس ما عندك من همّ وضيق؟!

يا صديقي: سوف لا يجديك في الدنيا صديق
ليس عند الناس رأي ثابت شافٍ يليق
فحلول لفريق ضدّ أخرى لفريق

قد خبرناه جميعاً إنما عندي علاج
في دجى الليل يسوعاً أغلق الباب وحاجج
وصراءعاً ودموعاً واملاً الليل صلاةً

* * *

أيها المصلح يا من تملأ الدنيا لهيبا
ثائراً للحق والإصلاح محتداً غضوباً
كم لقيت العنت والتجريح والقول المعيبة
تحمل اليوم صليباً وغداً أيضاً صليباً
يا صديقي: إن مضى الوقت نزاعاً وحرباً
واستمر الحال مثل الأمس صعباً وعصيباً
فادخل المخدع واركع واسكب النفس سكيناً
قل له اشتدت وضاقت فافتتح الباب الرحباً

قل له يا رب إني عاجز لمن أستطيع
واعرض الأمر وحاجج في دجى الليل يسوعاً
واملاً الليل صلاةً وصراعاً ودموعاً

* * *

وماذا بعد هذا؟

أهدى هذه القطعة إلى صاحبها،
إلى السيد المسيح الذي أتحفنا بقصة
الغنى الغبي، والذي أوحى إلى سليمان
سفر الجامعة. (نظمت سنة ١٩٤٨ م).

(من الوافر)

وأجمع فضي وأضمُّ تبرى
بائمه وأطيار وزهر
وأطرب مسمعي من كل طير
وأنعم في رفاهية وخير
أقدم فيه قرباني وشكري
سألقى الموت مهمما طال عمري
سأترك كل أموالي لغيري
وأرقد مثله في جوف قبر
ولا تفريق بين غنى وفقر

سأهدم في المخازن ثمَّ أبني
وأغرس لي فراديساً كباراً
وأقطف وردة من كل غصن
وأسعد بالحياة مشتهاها
وأبني معبداً للمال ضخماً
وماذا بعد هذا ليت شعري؟
وهذا المال يا ويهي عليه
وأفنى مثل مسكينٍ فقيرٍ
ونسمة قبره ستذهبُ حولي

* * *

وأحيا مثلما تشاقّ نفسي
وتشرق في سماء المجد شمسي

سأسكنُ في قصور شاهقات
وارقى مثلما أبغى وأعلو

وأحسب كلَّ تاج فوق رأسي
ويحتفل الوجود بيوم عرسي
وأصبح وسط تمجيد وأمسي
وأهمل كلَّ ترتيل وقدس
سيجري ضائعاً يومي كأمسي
وأرقد مثله في جوف رمس
ولا تفرق في مجد وبؤس

أسيِّر فتشخصُ الأ بصار نحوِي
وتحني هامها الدنيا خضوعاً
وتهتف كلُّ حنجرة باسمِي
وأملاً ساحة الدنيا غروراً
وماذا بعد هذا ليت شعري؟
وأفنى مثل صعلوكٍ حقيرٍ
ونسمة قبره ستذهب حولي

* * *

وأجلس فوق عرش العلم وحدي
وابني من جلال العلم مجدي
ولا ألقى على الأيام نديٌ
ويأتي ذكرهم في المدح بعدي
وتخشى دولة الأقلام نديٌ
فترجع المجامع حين أبدي
أحقاً ثروة الأفكار تجدي؟
وأرقد مثله في جوف لحدٍ
تماماً مثلما ستهب عندي

سأقضي العمر في جدٌّ وكدٌّ
وأصبح مرجعًا في كل فنٌّ
وأغدو قبلة في كل نادٍ
يسير أعظم العلماء خلفي
وترفع دولة الأبحاث قدرِي
وأبدى الرأي في ثقة علمي
وماذا بعد هذا ليت شعري؟
سأفنى مثلما يفني جهولٌ
ونسمة قبره ستذهب حتماً

* * *

وأختار الطروب من الصدّاح
وأجري مسرعاً خلف السراب
وأفتر بالمجون وباصطحابي

سأقضي العمر في لهو الشباب
وأترك كلَّ نبع للمسيح
وأصطحب المجنون طوال عمري

وأسقط بيت ربي من حسابي
وأسعد بالكؤوس وبالشراب
وأرفض كلَّ نصح أو عتاب
سوئ ذل وفقر واضطراب
وأرقد مثله تحت التراب
تمجده وتسخر من شبابي

وأنفق كلَّ يومي في الملاهي
وأطرب بالأغاني عابثات
وأشبع مهجتي من كلَّ طيش
وماذا بعد هذا ليت شعري؟
وأفنى مثلما يفني عفيف
ونسمة قبره ستهبُّ حولي

* * *

وماذا نلت ويهي من ضلالٍ؟
تبدي مثل قصر من رمال؟
وقد أيقنت من سوء المال؟
وهل جاهي سيمعن من زوالٍ؟
وإثم ليس فيه من حلال!
ووافخراً لقسٌ في القلالي
عن الدنيا وعن صحب وآل
ولا يُصغي إلى قيل وقال
قصوراً غير بيت في الأعلى

وماذا نلت من علمي ومالي
وماذا نلت من مجدٍ كذوبٍ
وما جدوى حياة سوف تفنى
وهل في المال عمرٌ بعد موتٍ
ضلال كله لا خير فيه
فوا مجدًا لسكن البراري
ويَا طوباه من يحيا غريبًا
فلا يهتم إن جاءت وولت
ويحيا مثل ضيف ليس يبني

* * *

ذلك الثوب

لعل هذه الأفكار كانت تجول
بذهن يوسف، أو تتواثب على شفتيه،
وقد أمسكت سيدته بشوبه^(١)...

نظمت هذه القصيدة في سنة ١٩٤٦ م

(من مجزوء الرمل)

إن قلبي ليس فيه
الثوب بل لا أدعه
لك أن تسترجعيه
ت وإن شئت اتركه
أقسمت ألا تدخله
وكذا لن تملكه
وقد استودعنيه
هذا قلبي أسأليه

هذا الثوب خذيه
أنا لا أملك هذا
هومن مالك أنت
فانزعني الثوب إذا شئت
إنما قلبي لقد
أنا لا أملك قلبي
إنه ملك ربّي
عثّا قريبك منه

* * *

أعهدي مالاً وعرضاً

زوجك الغائب قد

(١) القصيدة مستلهمة من قصة النبي الله يوسف بن يعقوب، وما حديث له مع

امرأة العزيز.

بـيـتـه طـوـلـاً وـعـرـضاً
 كـيـف أـهـوـي فـيـه نـقـضاً
 نـأـخـون الـعـهـد فـرـضاً
 وـبـهـذـا الشـرـ أـرـضـي
 طـارـخـات قـوـاي أـرـضاً
 إـن أـخـلـاقـك مـرـضـي
 بـي وـقـد اـخـلـعـتـنـيـه
 إـن قـلـبـي لـيـسـ فـيـه

بـل وـقـد مـلـكـنـيـ فـيـ
 إـنـهـ عـهـدـوـثـيقـ
 وـإـذـاـ ماـ كـنـتـ خـوـاـ
 كـيـفـ أـعـصـيـ اللهـ رـبـيـ
 نـاسـيـأـعـقـلـيـ وـدـيـنـيـ
 فـابـعـدـيـ عـنـيـ دـعـيـنـيـ
 أـيـ فـخـرـ لـكـ فـيـ ثـوـ
 هـوـذـاـالـثـوـبـ خـذـيـهـ

* * *

مـعـنـ إـبـرـامـ جـدـيـ⁽¹⁾
 بـحـ وـالـابـنـ المـعـدـ
 لـمـ مـنـ عـهـدـلـعـهـدـ
 أـصـبـحـتـ عـنـوـانـ مـجـدـيـ
 إـنـ الشـرـ يـرـدـيـ
 مـعـ إـنـ الـجـسـمـ عـبـدـيـ
 لـوـ أـطـعـتـ اللهـ وـحـدـيـ
 دـاـ لـذـاـ الشـرـ الـكـرـيـهـ
 إـنـ قـلـبـيـ لـيـسـ فـيـهـ

آـهـ لـوـ تـدـرـيـنـ مـاـ أـعـدـ
 قـصـةـ الطـاعـةـ وـالـمـذـ
 طـاعـةـ غـنـيـ بـهـاـ الـعـاـ
 طـاعـةـ أـورـثـتـهـاـ قـدـ
 طـاعـةـ اللهـ لـاـ لـلـشـرـ
 طـاعـةـ لـلـرـوـحـ لـاـ لـلـجـسـ
 سـأـطـيـعـ اللهـ حـتـىـ
 كـيـفـ أـعـصـيـ اللهـ مـنـقـاـ
 هـوـذـاـالـثـوـبـ خـذـيـهـ

* * *

(1) إبرام: المقصود سيدنا إبراهيم عليه السلام.

الأمومة

نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٤٩ م

(من الرمل)

في ارتياح ما شكوت أو وهنت
قد ضممت الطفل حباً واحتضنت
وكذا في قلبه الغض سكنت
ما احتجزت منه شيئاً أو ضنت
أي حُسْنٍ إنما دنياه أنتِ
أنت نبع من حنان حيث كنتِ

نام في أمن ولكن قد سهرت
ما تركتيه على مهده بل
قد وهبته فؤاداً خالصاً
كل ما عندك متزوك له
لم يجد في الكون أو آماله
أنت يا أماه سرُّ غامض

* * *

قارعاً دوماً على باب الضلوع
يبيغيه في اشتياق وولوع
نال مني كل حبٌّ وخشوع
كلما اشتاق يشيني الرجوع
فينادي القلب: ويحيي هل أطيع؟
طاهراً يشفق بالطفل يسوع
تمنحيني البعض مما قد خزنتِ

إن لي طفلاً هو الطفل يسوع
له في أعماق قلبي مذود
كم دعوت الطفل في قلبي وكم
غير أني جاحد في حبه
وأرى الشيطان في إغرائه
ليت لي يا أم قلباً مثلك
كم خزنت العطف في قلبك هل

أنت في العالم سرٌ غامضٌ

أنت نبع من حنان حيث كنت

* * *

واسمعينا عن خفاياك أسمعينا
قلبها الحاني حديث العارفينا
كمثالٍ رائعٍ إذ تذكرينا
وهي تحوي ربنا الفادي جنينا
كيف قاست ذلة الفقر سنينا
بيسوع من سيوف الذابحينا
غمرة الآلام مصلوياً حزينا
مهجة الأم فأي الناس أنت
أنت نبع من حنان حيث كنت

املئي الكون حناناً وحنيناً
حدينا عن هوى الأم وعن
واذكري العذراء في عليائها
كيف ناءت من شوكٍ مرءٍ
كيف حلّت مزوداً محترقاً
كيف جاءت مصرنا هاربةً
كيف لاقت ابنها المحبوب في
إيه يا عذراء كم جربت في
أنت يا أماه سرٌ غامضٌ

* * *

من الحان باراباس^(١)

نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٤٩ م

ونظمت القصيدة التالية سنة ١٩٥٠ م

(من الرمل)

أخطأت أمي وأصفت لنداها
قطفت أمي حراماً من جناها
أنا من شرّد في الشرّ وتابها
أنا ابن الأرض أصلي من ثراها
عبدك الآثم من يعصي الإلهـا
وأنا الخاطئ حرّ أتابهـي
وحنان قد تسامي وتناهـي

أنت لم تنصت إلى الحية بل
أنت لم تقطف من الجنة بل
أنت قدوس ظهور بينما
أنت عالٍ في سماء إنما
أنت ربٌ وإلهـه وأـنا
فلماذا أنت مصلوب هنا
حكمة يا رب لا أدركها

* * *

وعلام كرهـهم فيك علامـاً؟
تنزع البغضـاء منهم والخصـاماً

عجبـاً يا ربـ ماذا قد جـري
عشـت يا مـوليـ حـيناً بينـهم

(١) انظر لترجمته: ص ٥٣.

فِمَلَأَتِ الْكُونَ حَبًّا وَسَلَاماً
كُنْتَ يَا قَدُوسَ قَلْبًا مَشْفَقاً
لَا شَلْ وَأَبَّا بَيْنَ الْيَتَامَى
كُنْتَ رِجْلًا لَكَسِيْحٍ وَيَدًا
وَالْطَّرِيعَ الْمَقْعَدَ اشْتَدَ وَقَامَا
قَدْ أَقْمَتَ الْمَيْتَ وَالْأَعْمَى رَأْيَ
شَخْصَكَ الْحَانِي وَزَادَتْ فِي أَذَاهَا
فَلِمَاذَا قَامَتِ الدُّنْيَا عَلَىٰ
وَأَنَا الْخَاطِئُ حَرُّ أَتْبَاهِي
وَلِمَاذَا أَنْتَ مَصْلُوبٌ هُنَا
وَحْنَانَ قَدْ تَسَامَى وَتَنَاهَى
حَكْمَةً يَا رَبَّ لَا أَدْرِكُهَا

* * *

أنا أولى منك بالصلب أنا
أنا من ضيَّع ويحيي يومه
أنا من يسعى إلى الموت وفي
أنا ظمآن تولى مسرعاً
أيها المصلوب يا من قد رأى
كلما طافت بك العين انزوت
فلماذا أنت مصلوب هنا
حكمة يا رَّب لا أدركها
وحنان قد تسامي وتناهى
وأنَا الخاطئ حرُّ أتباهى
نفسى الخجل يغطيها بكاما
كُلَّ من في العالم الناكر قدسه
يرتجى الحياة أن تملأ كأسه
نشوة أو سكرة يحفر رمسه
في ضلال مثلما ضيَّع أسمه
صاحب العار الذي لَوْث نفسه

Three small, stylized floral or asterisk-like symbols arranged horizontally, likely used as a section separator or decorative element.

أنا يا نجم غريب ه هنا

نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٥٠ م

(من الرمل)

منذ أجيال لطفل المذود
وشريد ليس لي من مرشدٍ
ذلك الهادي الذي يهدي يدي
ولتدعني^(١) في خشوع العابد
رُكَّع حول يسوع سُجَّدٍ

أيها النجم الذي أرشدتنا
أنا يا نجم غريب ه هنا
قد ضللت الله دهراً لم أجد
فارشد القلب إلى مذوده
بين أملاك بهي شكلهم

* * *

لم نجد يا نجم من حصن لنا
يغفر الماضي ويخفى إثمنا
أو غزا طيش الهوى ألبانا
وسئمنا ذات يوم حربنا
زرعنا النامي وهزَّت غرسنا

نحن في الدنيا ضعاف عُزَّل
غير وعد بمسيح منقذ
كلما انقادت إلينا شهوة
كلما اشتدت علينا ضربة
كلما هبَّت رياح فاجتنبت

(١) في انطلاق الروح: واتركني.. ويكون بالبيت اضطراب موسيقي.

يسرع القلب ويشكو صارخا
أيها النجم الذي أرشدتنا
منذ أجيال لطفل المذود

تبطئ الخطو إذا اليوم دنا
إن أولى الناس بالعطف أنا
يغتنم القلب ولا العقل اغتنى
أستمع صوتاً صريحاً معلنا
كلما مررت به الريح انشئ
أنا يانجم غريب هنا
سر بقلبي أيها الهادي ولا
أنا يانجم ضعيف خائر
أنا طفل في حياة الروح لم
ليس لي حلم ولا رؤيا ولم
أنا في الصحراء نبت واهن
أنا وحدي حائر بل عاجز

وشريد ليس لي من مرشد

عن حياة الشرّ يوماً لم أحد
ليتنى من خوف ضعفي لم أعد
إن أردت الإثم أو إن لم أرد
خائف في وحدتي بل مرتعد
أسقف يرعى ولا من مفتقد
قد ضللت الله دهرًا لم أجد
أيها النجم افتقدني أني
كم وعدت الله وعدًا حانثا
أنا عبد الإثم أرضي شهوتي
أنا وحدي وسط أسياف العدا
أنا ملقن في ضلالي ليس من
فطريقي في ظلام دامس

ذلك الهادي الذي يهدي يدي

أدهش الأكوان في مولده
 أحوج القلب إلى مرشد
 بشر العابد في معبده
 وانهض الراقد من مرقده
 تهرع الدنيا إلى منشده
 فارشد القلب إلى مذوده

قد سمعنا اليوم عن ميلاد من
 سر أيان جم لتهدينا فما
 طف بكل الناس إشفاقاً بهم
 وايقظ الغافل من غفلته
 واشد بالبشرى نشيداً مفرحاً
 ولد الرب كطفل مثلاً

ولتدعني في خشوع العابد^(١)

أخطأ الكل وزاغوا كلهم
 ليتنا ندري إلام ذلهم
 ولأجل الطيش يفني مالهم
 ضل في الآثام أيضاً عقلهم
 أنت تدري كيف أمسى حالهم
 وسط أملاك بهي شكلهم

كل ما في الكون إثم سافر
 استغلوا فاستكانوا في رضي
 قلبهم للشر أضحم مسكننا
 عبشاً يهديهم العقل فقد
 فترفق أيها النجم بهم
 قم وجمّعهم بقلب خالصٍ

خُشع حول يسوع سُجَّد

* * *

(١) في انطلاق الروح: واتركني.

غريب

كتبت معظم هذه الأبيات من سنة
١٩٤٦ ولم تكمل بعد، وكان كاتبها
يود أن تبقى حتى تكمل ولكن لا بأس
من أن تكملها أنت يا أخي القارئ أن
أحبت نعمة الرب.

(من مجزوء الوافر)

نزيلاً مثل آبائي
وأفكاري وأهواي
أفرّغ فيه آرائي
ولا يدرؤن ما بائي
وفي صخب وضوضاء
بقلبي اللوادع النائي
ولا ركناً لإيوائي

غريبًا عشت في الدنيا
غريبًا في أسلبي
غريبًا لم أجد سمعاً
يحرّ الناس في ألفي
يموج القوم في هرج
وأقعّ ههنا وحدي
غريبًا لم أجد بيتاً

* * *

ولم أحفل بناديها
بعيًّا عن ملاهيها

تركت مفاتن الدنيا
ورحت أجرُّ ترحالٍ

لشيء من أمانٍ لها
إلى ضوضاء أهلٍ لها
سعيداً في بواديها
والحان أغنى لها
خلوت بخالقٍ فيها
يموج لمقلة الرائي
نزيلاً مثل آبائي

خليٌّ القلب لا أهفو
نزيه السمع لا أصفي
أطوف ههنا وحدي
بقيثاري ومزماري
و ساعات مقدسة
أسير كأنني شبح
غريباً عشت في الدنيا

* * *

يشاغلني ولا مالٌ
ولا صحب ولا أملٌ
تعزّيني وأمثالُ
ولا يخفيه مكيلٌ
ن قضبان وأغلالُ
فإدبار واقبالُ
يريد الآن إغرائي
غريباً مثل آبائي

كسبت العمر لا جاه
ولا بيت يعطّلني
هنا في الدير آيات
هنا الإنجيل مصباح
هنا لا ترعب الرهبا
ولا تلهو بنا الدنيا
أقول لكلّ شيطان
حذارك إنني أحيا

* * *

سائح

كتبت هذه القصيدة من أوائل يوليو ١٩٥٤ م

(من مجزوء الرمل)

ليس لي شأن بغيري
قد أخفيت جُحرٍ
ساكناً ما لست أدرِي
من قفر لقفر
بيد والأكام ديري
تاخ لأسوار فكري
لم أشغف بوكِر
في إقامتاي وسيري
حين أمشي حين أجري
لأس شيء غير أمري

أنا في البيداء وحدي
لي جُحر في شقوق التلّ
وسأمضي منه يوماً
سائحاً اجتاز في الصحراء
ليس لي دير فكل الـ
لا ولا سور فلن ير
أنا طير هائم في الجو
أنا في الدنيا طليق
أنا حرّ حين أغفو
وغرِيب أنا أمر النـ

* * *

قم !!

نظمت في سنة ١٩٥١ م

(من مجزوء الكامل)

تبق لدولته بقيه
غفرت لكم تلك الخطيه
وامسح دموع المجدلية^(١)
توما فريبته قويه^(٢)

قم حطّم الشيطان لا
قم بشّر الموتى وقل
واغفر لبطرس ضعفه
واكشف جراحك مقنعا

(١) بطرس: اسم يوناني معناه «صخرة»، وكان يُسمى سمعان، وقد سماه المسيح «كيفا» وهي الكلمة آرامية معناها «الصخرة»، وهي باليونانية «بيتروس»، ومنها جاء الاسم «بطرس».. وكان يعمل بصيد السمك.. ويرجح أنه كان تلميذاً ليوحنا المعمدان.. وقد دعاه يسوع ثلاثة مرات.. الأولى ليكون تلميذاً له، والثانية ليكون رفيقاً له، والثالثة ليكون رسولاً له. وكان مقرباً جداً للسيد المسيح. انظر: قاموس الكتاب المقدس: ١٧٥.

(٢) توما: اسم آرامي معناه «توأم» أحد الاثنين عشر رسولاً.. بعدهما ذهب المسيح إلى اليهودية لما هدده اليهود بترجمه بالحجارة فلمحبة توما له قال للتلاميذ: «لنذهب لنموت معه».. لم يكن توما في الاجتماع الأول لما حظي التلاميذ برؤيه الرب بعد قيامته من الأموات فقال توما: أنا لم أبصر في يديه أثر المسامير...»، وقد أطلق عليه توما المتشكك. انظر: قاموس الكتاب المقدس: ٢٢٦.

يبني كنيستنا النقية^(١)
واسكن بيوت المرقسية

وارسل إلينا مرقسا
وهلم وأقبل سيدى

* * *

واشفق بأجفان البكاه
واشمت بأسلحة الطغا
فلا رجوع ولا نجاه
وأنت ينبعو الحياه
واظهر بسلطان الإله
فأنت رب في سماه
وابهرون بطلعتك البهيه
ة ولُمَّ أشتات الرعاه

ارفع رؤوساً نكست
شمت الطغاة بنا فقم
حسبوك إنساناً فنيت
ولأنت أنت هو المسيح
قم في جلال المجد بل
قم وسط أجناد السماء
قم رُوعَ الحَرَاس
قم قُوّة إيمان الرعا

* * *

غرباء في هذا الوجود
ولم تقم بعد الرقود

مررت علينا ملائكة
فتررت ضمائرنا هنا

(١) مرقس: اسم لاتيني معناه «مطرقة» وهو لقب ليوحنا، ويظن أن مرقس هو ذلك الشاب الذي تبع المسيح ليلة تسليمه.. وقيل: إنه أول من نادى برسالة الإنجيل في مدينة الإسكندرية، وأنه استشهد فيها، ويرمز إليه في الفن المسيحي بصورة الأسد. انظر: قاموس الكتاب المقدس: ٨٥٣.

حجر ويحرسه الجنوذ
وقدمت من بين اللحوذ
رب القيامة والخلوذ
من قبر الضلاله والخطيـه
ـه ولـم أشتـات الرعـيه

فالقبر ضخم فوقه
يا من أقـمت المـائـتين
يا من قـهرـت المـوتـ يا
ـقـمـ وانـقـذـ الأـرـواـحـ
ـقـمـ قـوـّـ إـيمـانـ الرـعـاـ

* * *

خمسة حب

نظمت هذه القصيدة في المغاربة سنة ١٩٦١

(من الرمل)

في حنایا الصدر أخفى موضعك
واعترفت الكل كي أحيا معك
شهوة أخرى سوى أن أتبعك
قد عرفت الآن كيف صار عك (١)
أنت عال مرعب ما أروعك
كفه والحب يدمي مدعوك
كيف للقلب إذن أن يسعك

قلبي الخفّاق أضحي مضغوك
قد تركت الكون في ضوئاته
ليس لي فكر ولا رأي ولا
وابي يعقوب أدرني سرّه
يا ألف القلب ما أحلاته بل
يا قويًا ممسكًا بالسوط في
لم يسعك الكون ما أضيقه

* * *

ليس لي في غربة العمر سواك
حيثما أنت فأفكاري هناك
قد نسيت النفس أيضًا في هواك
متعة القلب فلا تنس فتاك

قد تركت الكلَّ ربي ما عداك
ومنعت الفكر عن تجواله
قد نسيت الأهل والأصحاب بل
قد نسيت الكلَّ في حبك يا

(١) انظر: قصة يعقوب في سفر التكوين. إصلاح ٢٧ حتى إصلاح ٥٠.

في سكون الصمت تستوحى نداك
كل قلب عاش في الحب سماك
من هوئ الكل فلا يحوي سواك
عن رؤى الأشياء على أن أراك
من حديث الناس حتى أسمعك
في حنايا الصدر أخفى موضعك

ما بعيد أنت عن روحي التي
في سماء أنت حقاً إنما
عرشك الأقدس قلب قد خلا
هي ذي العين وقد أغمضتها
وكذا الأذن لقد أخليتها
قلبي الخفّاق أضحت موضعك

* * *

تائه في غربة

نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٦١ م في المغاربة

(من الرمل)

أو تدري أنت ما أنت هنا؟
وجميع الناس أيضاً مثلنا
ثم نمضي حين يأتي يومنا
ثم ولئ بعدها آباءنا

يا صديقي لست أدرى ما أنا
أنت مثلني تائه في غربة
نحن ضيفان نقضى فتره
عاش آباءنا قبل حقبة

* * *

قنية أملك فيه أو غنى
جمع العقل بجهل واقتني
مسكناً في الأرض أو مستوطناً!

قد دخلت الكون عرياناً فلا
وسأمضي عارياً عن كلّ ما
عجبًا هل بعد هذا نشتهي

* * *

قد سكرنا وأضعننا أمسنا
قبلما نمضي، وتبقي «ليتنا»!!

غرّنا الوهم ومن أحلامه
ليتنا نصحو ويصفو قلنا

* * *

كل ما أدريه إنّا سوف نمضي
في سباق، بعضنا في أثر بعض
مثل برق سوف يمضي، مثل ومض

لست أدرى كيف نمضي أو متى
في طريق الموت نجري كلنا
كبخار مضمحل عمرنا

واجر في الآفاق من طول لعرض
أرضها في المال، أو في المجد أرض
ضيّع الأيام في الأحلام واقتضي
راقداً في بعض أشبار بأرض
لم يعدي القلب من خفق ونبض
أين بركانه من حب وبُغض؟

يا صديقي كن كما شئت إذن
أرض آمالك في الألقاب أو
واغمض العين وحلق حالما
آخر الأمر ستتهوي مجها
يهداً القلب وتبقى صامتا
ماضجيج الأمس في القلب إذن؟

* * *

أيها الضيف، لماذا أنت تبني؟
هو نفس الشوك أيضاً سوف تجني
في مجيء الموت أيضاً استغني؟!
في اعتزاز، في افتخار، في تجنب!!
مثلما ترفع رأساً سوف تحبني
يا صديقي قف قليلاً وانتظرني
أنا في حضنك، مل أيضاً الحضني
صاحب فخره «من أعظم مني؟!؟»
هل سينسى أصله من قال إني..؟!

قل لمن يبني بيوتاً هنا:
قل لمن يزرع أشواكاً، كفى
قل لمن غنى على الأهواء هل
قل لمن يرفع رأساً شامخاً
خفّض الرأس وسر في خشية
قل لمن يعلو ويجري سابقاً
نحن صنوان يسيران معًا
قل لمن يعتز بالألقاب أن
نحن في الأصل تراب تافه

* * *

كيف أنسى ؟

نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٦٢ م

(من الرمل)

سوف أنسى الأمس واليوم وقد أنسى غدا
وسأنسى فترة في العمر قد ضاعت سدى
غير أنني سوف لا أنسى سؤالاً واحدا
حين قال القلب يوماً في ارتباك: كيف أنسى

كيف أنسى فترة الطيش وأثام الصبا
حين كان القلب رخواً كلما قام كبا
أسكرته خمرة الإثم فنادى طالبا
كلما يشرب كأساً يملأ الشيطان كأسا

كم دعاني الرب يوماً فأشحت الوجه عنه
وأراني قلبه الحاني أنا الهارب منه
قال كن صدراً القلبي غير أنني لم أكنه
كان قلبي في صدوري مثل صخر، كان أقسى

قال هل تحضر يا صاحب عرسي، فاعتذررت
فأعاد القول في رفق وعطف، فضجرت
فتولى بعد أن قال انتظرنى، ما انتظرت
لم تكن في القلب أشواق لكي أحضر عرسا
كجحيم ذلك الماضي، كشيطان مُرِيع
قائم ضدي في صحوى وأيضاً في هجوعي
كم مضى الليل وقد بدللت فرشى بدموعي
إيه يا ظلمة نفسى، هل ترى أبصر شمسا
قرأ الكاهن حلاً فوق رأسى، فاسترحت
قال لي هيا اصطلاح بالرب هيا، فاصطلحت
قلت أنسى الأمس لكن صرخ العقل فصحت
حسن يا قلب أن أنسى ولكن، كيف أنسى؟
كيف أنسى فترة الطيش وآثام الصبا؟!
كيف أنسى الرب مصلوياً وقلبي صالباً؟!

* * *

شمشون وهو يجرّ الطاحون^(١)

(من مجزوء الوافر)

أنا شمشون أم غيري
فأين جلالة القدر؟!
وأين نباهة الذكر
وجيش هارب يجري
وأين الطول من شعري
هل تدرين ماسرى
فقد حيّرت في أمري
أنا شمشون أم غيري؟!

أنا الجبار أم شبحي
إذا ما كنت شمشونا
وأين كرامة القاضي
وأين اللحى في كفي
وأين النور من عيني
حنانك يا رحى الطاحون
أجبيبي إبني مصغٍ
أنا الجبار أم شبحي

* * *

(١) انظر لترجمته: ص ٥٦.

مریم و مرثا

(تؤخذ بطريقة رمزية عن حياة التأمل وحياة الخدمة)

(من مجموع الوافر)

دخلتُ البيتَ لا مرثا	بساحتهِ ولا مریمْ
فمنْ للربِ في البيتِ	وکیفِ إذا أتیَ يُخدمْ
ومَنْ یهفو لِمقدمهِ	وَمَنْ یجري وَمَنْ یبُسْمْ
ومَنْ یرنو لِطلعتهِ	وَمَنْ یصغي وَمَنْ یفهُمْ
ومَنْ بِكَلامِهِ یشدو	طوال الليلِ أو يحلُمْ؟

* * *

حنانك يارب يغزو القلوب

سبتمبر ٢٠٠٨ م

(من المتقارب)

فأنت الصديق وأنت الحبيب
سفكت دماءك فوق الصليب
فحبُّ الإله عجيب عجيب
بكُّل حنان لهم تستجيب
فصدرك يارب صدر رحيب
لكم في فؤادي الشفوق نصيب
فيفرح قلب الحزين الكئيب
وقلبي ينادي فهل من مجيب؟
فعرشي مُعدٌ ووقتي قريب
بحبٌّ حرارته كاللهيب

حنانك يارب يغزو القلوب
لأجل الخطة بذلت الحياة
فليس شبيه لحبك هذا
تحب الجميع وإذا يطلبون
وتصغي إليهم بطول إناة
تنادي الجميع: تعالوا إلى
تعالوا إلى جميع التعابي
فتحت فؤادي لكم يا بني
تعالوا سريعاً ولا تبطئوا
نعم يا إلهي سأتأتي إليك

* * *

إن جاع عدوك أطعمه

يناير ٢٠٠٩ م

(من المتدارك)

وإذا ما احتاج تساعده
ومن الخيرات املاً يده
أو كان حزيناً تسعده
فبكلِّ الحكمة ترشده
سارع للتوّل تتجده
لا تنهره وتهده
علّمه نشيداً ينشده
من يزرع خيراً يحصده
الشّرُّ، الربُّ يبدده
ونحبُّ الربَّ ونعبده
ونقول الحقَّ ونقتضده
والشوق إليه انبعده
والشّرُّ سريعاً انطرده

إن جاع عدوك أطعمه
وبكلِّ سخاء تعطيه
إن كان ضعيفاً شدّده
إن ضلَّ طريقه عن جهل
إن تاه ضريراً أنقذه
إن أخطأ طفل لاطفه
علّمه الخير ليعمله
أحسن للكلِّ تدل خيراً
الخير يدوم ولا يُنسى
إنَّ انشتاق إلى الخير
لا نهوى الباطل في شيء
بطل البطلان ترى الدنيا
الفكر الخير نقبله

* * *

عند أقدامك أجثو

(من مجزوء الرمل)

عند أقدامك أجثو
طالباً في الضيق عونا
في اشتياق كيوحنا
وامل يارب أذنا
زادت على الأفلاك حسنا
لم تعد أهلاً لسكنى
بين أحضانك أغفو
لي عتاب فاستمعني
أرضك الفضلى التي
استذلت واستبيحت

* * *

أحبك يارب في خلوتي

يوليو ٢٠٠٨

(من المتقرب)

تنادي فؤادي بعمق الكلم
ووقت احتياجي ووقت الألم
ووقت البكاء ووقت الندم
أحبك يارب وقت العدم
وأيضاً إذا ما هوى وانهدم
وأفرح بالجرح حين التأم
يفيض عليَّ بأسمى النعم

أحبك يارب في خلوتي
أحبك يارب في ضيقتي
أحبك يارب في توبتي
أحبك يارب وقت الرخاء
أحبك والقصر يُيني لأجلِي
أحبك قلبًا يُضمد جرحِي
أحبك روحًا يرفرف حولي

* * *

يَا إِلَهِي

٨ أغسطس ٢٠٠٨ م

(من الرمل)

يَا إِلَهِي أَعْمَقُ الْحَبَّ هُوَاكُ
فِي جَمَالٍ وَسَطْ قَوَّاتِ سَمَاكُ
أَنْتَ مَلِءُ الْعُقْلِ وَالْقَلْبِ مَعَا
أَنَا وَسْطُ النَّاسِ أَجْذَبُهُمْ لَكُ
أَنْتَ أَصْلُ الْكَوْنِ يَارَبُ الْوَرَى
يَا إِلَهِي أَنْتَ عُونِي.. أَنْتَ حَصْنِي
فِيْكَ مَا يُشْبِعُ قَلْبِي دَائِمًا

يَا إِلَهِي لِي اشْتَهَاءُ أَنْ أَرَاكُ
لَيْسُ فِي غَرْبَةِ الْعُمَرِ سَوَاكُ
أَنَا فِي الْوَحْدَةِ أَسْتَوْحِي نَدَاكُ
كُلُّ مَجْدِ الْكَوْنِ صَاغَتْهُ يَدَاكُ
أَنْتَ رَبِّي أَنَا أَحْيَا فِي حَمَاكُ
إِيَّاهُ رَبِّي مَتْعَةُ الْقَلْبِ رَضَاكُ

* * *

لله كون إله

(من مجذوء الرمل)

لِيْسْ مَعْبُودًا سَوَاهِيْ
وَهُوَ أَصْلُ الْحَيَاةِ
فَلَهُ نَحْنُ الْجَبَاهِ
فِي ابْتِهَالٍ فِي صَلَاهِ
أَسْمَى مَشْتَهَاهِ
ضَيِّعْمَرِي فِي رَضَاهِ
وَهُوَ عَالٌ فِي سَمَاهِ
لِيْسْ يَدْرِي مَا مَدَاهِ
فَظْبَلْ حَامِي الْحَمَاهِ
وَهُوَ رَاعٍ لِلرَّعَاهِ
إِنَّ لِلَّكُونَ إِلَهًا
هُوَ أَصْلُ الْوَجُودِ
يَنْحَنِي الْكُلُّ خَضْوَعًا
فِي رَكْوعٍ فِي سَجْدَهِ
يَجِدُ الْوَجْدَانَ فِي حَبَّهِ
كُلُّ مَا أَبْغِيهِ أَنْ أَقَهِ
هُوَ فِي الْأَذْهَانِ دَوْمًا
وَيَحْارِي الْعُقْلُ فِيهِ
إِنَّهُ الْخَالِقُ وَالْحَاكِمُ
هُوَ رَبُّ الْبَرَاءَاتِ

* * *

قصيدة عن الطلاق

أُلقيت عام ١٩٤٦ م، ونشرتها مجلة
الكرامة بتاريخ ٢٥ يونيو ٢٠١٠ م

(من مجزوء الرمل)

لم يعد مجدى	ضاع منا كل مجدى
فهو باق عندنا	غير إنجليل يسوى
وهو باق بعدهنا	هو باق ما بقينا
عندنا من روحنا	كل حرف فيه أغلى
يربط في إنجلينا	إنما الموت هو التف
ليق من غير زنا	إنما الموت هو التط
سيت ما قد قيل عنك	إنه موت إذا أُنـ
سوف لا تقوى عليك	إنَّ أبواب الجحيم

* * *

توحد

(من الرمل)

لي طريقٌ مفردٌ.. أحببته عشت فيه طول هذا العمر وحدي
كنت في مجتمع.. أو خلوة أنا وحدي.. يستوي الأمران عندي

* * *

قام المسيح

(الكامل)

قام المسيح الحي هل مثل المسيح ثراك قمت..?
أم لا تزال موَسَداً في القبر ترقد حيث أنت..?

* * *

تراب

(من الرمل)

ياتراب الأرض يا جّدي وجد الناس طرا
 أنت أصلي أنت يا أقدم من آدم عمرًا
 ومصيري أنت في القبر إذا وُسّدت قبرا

* * *

أمي

(من الوافر)

أم أني قد خُلقتُ بغير أم	أحقًا كانَ لي أمٌ فماتت
أحلّق في فضاءٍ مُدلهم	رماني الله في الدنيا غريبا
بأخذٍ أو بخالٍ أو بعِم	وأسأل يا زماني أين أحظى
وهذا القلب في عدمٍ ويتِم	وهل أقضى زماني ثم أمضي
كأني لستُ في أهلي وقومي	وأسأل عن صديق لا أجده

طين

(من مجزوء الرمل)

ما أنا طين ولكن أنا في الطين سكنت
لست طيناً أنا روح من فم الله خرجمت
وسأمضي راجعاً لله أحيا حيث كنت

* * *

موسيقا

(من مجزوء الوافر)

هدوء الليل موسيقا وأنغام تداعبني
وصوت الريح في رفق يصبُ اللحن في أذني

* * *

أمس

(من الرمل)

ما حياتي غير أمس عابر
 كلها أمس إذا طال الأمد
 إن يومي هو أمس في غد
 وغدي يصبح أمساً بعد غد

* * *

الإنسان مشاعر

(من الرجز)

لكنها مشاعر.. تمكث دائمًا.. معي
 تسكن في حشاشتي.. في مهجتي.. في أضلعي
 تظهر في ابتسامتي.. في ضحكتي.. في أدمعي
 مشاعر تتبعني.. في صحوتي.. في مضجعي
 تجري دواماً في دمي.. كنت أعي.. أو لا أعي

كم مرة.. قلت لها.. عنِي بعيداً.. وارجعي
لـنـها مشـاعـر.. تمـكـثـ دائمـاً.. معـي
تجـري دـوـاماًـ في دـمـي.. كـنـتـ أـعـي.. أو لا أـعـي

* * *

كيف صرتُ

١٤ نوڤمبر ٢٠٠٧ م

(من مجزوء الرمل)

ماذا أحكى؟ لست أدرى
كيف مَدَّ الله عمرى
وتولى الله أمري
وإلى أن شاب شعري
كيف قاد الله سيري
لولاربي ليت شعري
أنت من يختار دورى
لك قد فوَّضتُ أمري
هاك قلبي هاك فكري
أنت من يُثليج صدري
أنت من قد صاغ شعري
أنت مجدي أنت فخري

ما حياتي؟ كيف صرتُ
كنت طفلاً صرتُ كهلاً
كيف قاد الله خطوي
منذ أن كنت صبياً
لست أدرى كيف صرتُ
لست أدرى ماذا كنت
إذ دعاني الربُّ قلت
أنا منك وإليك
ها حياتي في يديك
أنت من يُفرج قلبي
أنت من يرشد عقلي
أنت عوني أنت حصني

آه

(من الرمل)

حوله الأنهاُ تجري وبها عذُبُ المياه
وهو صادٍ يتشهَّى رشفةً تشفى صدأه
جفَّ منه الحلق لكن قد تنَّدَتْ مُقلتاه
بُحَّ منه الصوت من قوله دومًا آه آه^(١)

* * *

(١) باليت اضطراب عروضي.

حرمت الجبال

يوليو ٢٠٠٩ م

(من المتقارب)

حرمت الجبال، حرمت المغاره

نداء الجميع بأدنى إشاره

أشتتُ فكري بكل زيارة

حرمت البراري وأجواءها

وعشتُ زحام الألوف ألبّي

وصرتُ أزور وصرتُ أزار

* * *

خلاص النفوس وقصر الدباره^(١)

وأشغل فكري بجو الإداره

وصرتُ أجادل في الدين غيري

وأشغل قلبي بالمشكلات

* * *

وأين الصلاة التي بحراره؟

ويندهشون لهذا العباره

أجبنا بحقك: أين الخساره؟

تُدافعُ عن حقه بجداره

فأين السكون وأين الهدوء؟

إذا قلت إني خسرت ألام

فهم يعجبون وهم يسألون

ألسَّتْ تُنادي باسم المسيح؟

(١) يقصد بقصر الدباره: البروتستان.

ولكن ذكرى حياة الجبال تُدْرِغُ نفسي بأقصى مراره

Three small, stylized floral or asterisk-like symbols arranged horizontally, serving as a decorative separator at the bottom of the page.

فَأَيْنَ فَؤَادِي يَقْضِي الْلَّيَالِي	بِحُبِّ الْإِلَهِ وَيَقْضِي نَهَارَهُ؟
وَمَا عَادَ رَبِّيْ لَهُ كُلُّ فَكْرِي	تَرَكَتِ إِلَهِيْ وَأَحَبَبْتُ دَارَةً
وَأَسْأَلُ كَيْفَ تَغْيِيرُ حَالِي	وَكَيْفَ تَرَكَتِ حَيَاةَ الْمَغَارَةِ
أَخِيرًا خَضَعْتُ لِمَا صَرَّتْ فِيهِ	خَضَعْتُ لِرَبِّيْ، قَبَلْتُ قَرَارَهِ

• • •

في جنة عدن

نظمت هذه القصيدة في أواخر يوليو سنة ١٩٥٤ م

(من الواffer، والرمل)

(المنظر الأول)

آدم وحواء يسبحان الله في الجنة

آدم (يعني): تعالى الله مولانا وبورك حيثما كانا
حواء: يحب الله قلبانا

آدم يكمل: ورببي مصدر الحب
ملائنا الجو تمجیدا
ملائك: إلهي زده تسبیحا

ملائك آخر: إلهي زده إيمانا
آدم في حماس: أنا من فيض رحمته
تراب صرت إنسانا
حقيرًا كنت في الأرض
وكنت أداءس أحيانا
وهاندا وقد صرت
على الفردوس سلطانا

أرئ في جنتي شجراً
 وأطياراً مغفرة
 ويجري الماء من حولي
 آدم وحواء: تعالى الله باركنا
 (يرى آدم فهذا رائقًا فيقول له):
 تنشّط أيها الفهد
 وقل يا صاحبي معنا
 (الفهد يسير مغنيًا معهما):
 تعالى الله مولانا
 (يتحمس آدم فيقول لأسد في الطريق):
 وقم يا أيها الأسد
 وسبّح ربنا العالى
 وقل يا صاحبي أيضًا
 (الأسد يسير مغنيًا معهم):
 تعالى الله مولانا
 وبورك حيثما كانا
 تعالى الله مولانا
 وصح بالصوت رنانا
 وردّد لحن نجوانا
 تعالى الله مولانا
 وبورك حيثما كانا

(تزيد الحماسة بآدم وتأخذه روعة النشيد فيقف هاتفًا):
هلمّي دولة الوحش ذرافات ووحدانا

وهيَا ساكنِي الأَبْحَار أَسْمَاكًا وحِيتَانًا

وَقَوْمِي جَنَّةُ الْفَرْدَوْس أَطْيَارًا وأَغْصَانًا

هلمّي كُلُّنَا نَشَدُوا تَعَالَى اللَّهُ مُولَانَا

(يُسْمَعُ صوتَهُمْ جَمِيعًا وَهُمْ يَسِيرُونَ فِي مَوْكِبِ حَافَلٍ يَرْدَدُ):

تَعَالَى اللَّهُ مُولَانَا وَبُورُكَ حِيشَمَا كَانَا

مَلَائِنَا الْجَوِ تَمْجِيدًا وَتَرْتِيلًا وَأَلْحَانًا

(الْحَيَاةُ فِي غَيْظٍ): كَفَاكُمْ أَيْهَا الشَّادُونَ

تَمَلَّكَ آدَمَ فِيْكُمْ وَلَيْسَ مُفْضَلًا عَنِي

أَنَا الْجَبَارَةُ الْعَظِيمَيْنِ أَنَا سُلْطَانَةُ الْجَنِّ

لَسْوَفَ تَرُونَ مِنْ مَكْرِي وَسُوفَ تَرُونَ مِنْ فَنِي

المنظر الثاني

(الحياة تدخل الجنة وتتملق حواء وتظل بها حتى تسقطها هي وآدم)

الحياة متظاهرة بالتواضع

حنوٌ منك مولاتي	وروح لست أنساها
أنا في الحق لا أسمو	لأفتح ها هنا فاما
أمامك تخشع الأفهام	أرقاها وأنساها
وأعقل عاقل يصغى	إليك يقول طوباها

(تقنادها إلى الجنة وهي تقول):

تعالی ندرس الأئمہ کی ندری خبایاها

(شرح لها الأشجار حتى تصل إلى شجرة معرفة الخير والشر فتقول):

وَهَذِيْ وَحْدَهَا حَمَلَتْ مِنَ الْأَسْمَاءِ أَنْهَاها

(الحياة في لهجة الواقع العالم بخبايا الأمور، تقول باسمة في خبث):

محال أن يميتكم وأنتم متلهٍ جهده
بل القدس في سر وأعرف مختفي قصده
نهاكم مشفقاً منكم على سلطانه وحده

(تنظر إليها حواء في استغراب واستفهام، فتجيب الحياة في إغراء):

تصيران إلهين نظير الله في مجده!

ملاك يقول في إنذار):

أو عيده من إلهي أم من الحياة وعد

ليس مجدًا بل هلاك كيف في العصيان مجد؟

(الحياة لحواء): هذه النبتة يا حواء لو جرّبت شهد
نبتة فيها جلال العلم بل خُلد معدّ

(حواء تنظر إلى الشجرة فإذا هي بهجة للعيون وجيدة للأكل
فتقطف وتأكل وتعطي رجلها فيأكل معها)
(بينما الحية تقول في شماتة وفرح):

سقوط الجبار، أين العدل يا رب الحساب؟
واستحق الموت مهما ترك الشرّ وتاب.

(وتوجه كلامها لآدم):

لست شبه الله يا آدم بل أنت تراب
ويح سلطانك في الجنة (م) قد ولت وغاب
ليس مجد لأثيم بل هلاك بل عذاب
سوف تحيا في شقاء وامتهان واكتئاب
وستبقى تحت سلطاني إلى يوم المآب

(وتضحك صاحبتها الشيطانية وتجري عابثة في أرجاء الجنة)

* * *

المصادر والمراجع

- ١- أرشيبالد مكليش: الشعر والتجربة، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة: ١٩٩٣ م.
- ٢- إيليا أبو ماضي: ديوان شعرة الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت - لبنان.
- ٣- البابا شنودة: انطلاق الروح، مجلة الكرaza، القاهرة: ١٩٨٣ م.
- ٤- _____: مختارات من الأدب والحكمة والأمثال الشعبية، ط٥، القاهرة: ٢٠٠٧ م.
- ٥- د. بطرس عبد الملك و(آخرون): قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة.
- ٦- تادرس عطية الله: حديث الذكريات، مطبعة الدلتا، ط٢٠١٠ م.
- ٧- جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، القاهرة: ١٩٥٦ م.
- ٨- عادل البطوسي: الشعر الروحي للبابا، القاهرة: ٢٠٠٧ م.
- ٩- _____: والبابا شنودة شاعرًا، دار البطوسي للكتاب، القاهرة: ٢٠٠٨ م.
- ١٠- العقاد: ديوان العقاد، القاهرة (د. ت).
- ١١- محمد إبراهيم مدنى: مسرح عبد الرحمن الشرقاوى، رسالة ماجستير مخطوطة، كلية الآداب جامعة الزقازيق، ١٩٨٧ م.
- ١٢- د. محمد سالمان: الإيقاع في شعر الحداثة: دار العلم والإيمان - الإسكندرية - دسوق: ٢٠٠٨ م.

محقق الديوان ومقدمه

د. محمد علوان سالمان

- * دكتوراه في الأدب العربي الحديث
- * عضو اتحاد الكتاب
- * عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية
- * صدر له العديد من الأعمال، منها:
 - من وحي عينيك (شعر)
 - عندما يبكي الربيع (شعر)
 - صرخ الصمت (شعر)
 - فلسطين في الشعر المصري (دراسة)
 - مأساة لبنان في الشعر العربي (دراسة)
 - الإيقاع في شعر الحداثة في مصر (دراسة)
 - السريرة المترنجة في شرح القصيدة المنفرجة للبصري (تحقيق ودراسة)
 - شرح ديوان الزَّفَيان السعدي (تحقيق ودراسة)
 - من ديوان الشعر العربي ج ١، ويضم تحقيقاً للدواوين: أبي محجن الثقفي، وصفوان التجيبي، وابن مرج الكحل.
 - ج ٢، ويضم تحقيقاً للديواني: ابن طباطبا العلوي، وأبي بكر الخوارزمي.
 - عيون الأخبار لابن قتيبة (اختصار وتقديم).

- فن الألغاز عند العرب.
- الإلياذة الإسلامية لأحمد محرم، دراسة وتحقيق.
- حاصل على درع التفوق العلمي من أكاديمية الدراسات العليا بطرابلس الغرب.
- فاز بالميدالية التذكارية من المركز الثقافي المصري بطرابلس الغرب.

* * *

الفهرس

٩	- تمهيد
١١	- حياته
٣٩	- شعره
٧١	- الديوان
٧٣	- من تكون
٧٥	- أبواب الجحيم
٧٩	- هذه الكرمة
٨٣	- أبطال
٨٥	- وأب أنت
٨٩	- نشيد وطني
٩١	- أغلق الباب
٩٣	- وماذا بعد هذا
٩٧	- ذلك التوب

٩٩	- الأمة
١٠١	- من الحان بار اباس
١٠٣	- أنا يا نجم غريبٌ هنا
١٠٧	- غريب
١٠٩	- سائح
١٠١	- قم
١١٥	- همسة حب
١١٧	- تائهٌ في غربة
١١٩	- كيف أنسى
١٢١	- شمشون وهو يجر الطاحون
١٢٣	- مريم ومرثا
١٢٥	- حنانك يارب يغزو القلوب
١٢٧	- إن جاع عدوك أطعمه
١٢٩	- عند أقدامك أحثو
١٣١	- أحبك يارب في خلوتى
١٣٣	- يا إلهى
١٣٥	- للكون إله
١٣٧	- قصيدة عن الطلاق
١٣٩	- توحد
١٣٩	- قام المسيح
١٤١	- تراب

١٤١	كُلُّ مَا يُلْفِي	- أمى
١٤٣	لِلْمُهَاجِرِ	- طين
١٤٣	لِلْمُهَاجِرِ	- موسيقا
١٤٥	لِلْمُهَاجِرِ	- أمس
١٤٥	لِلْمُهَاجِرِ	- الإنسان مشاعر
١٤٧	لِلْمُهَاجِرِ	- كيف صرت
١٤٩	لِلْمُهَاجِرِ	- آه
١٥١	لِلْمُهَاجِرِ	- حرمت الجبال
١٥٣	لِلْمُهَاجِرِ	- في جنة عدن
١٥٩	لِلْمُهَاجِرِ	- المصادر والمراجع
١٦٣	لِلْمُهَاجِرِ	- الفهرس

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المبتدئان

١٣ المبتدئان - السيدة زينب
أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة
ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعي
بالجامعة - الجيزة

مكتبة راديويس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة
مبنى سينما راديويس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغاني من شارع
محطة المساحة - الهرم
مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة المعرض الدائم

١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق
مبني الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة

٢٥٧٧٥٠٠

ت : ٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلي ١٩٤
٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولي

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة
ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة الإسكندرية	٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية
مكتبة طنطا	٠٣/٤٨٦٢٩٢٥ - ت : ٢٠٠٣
مكتبة الإسماعيلية	٦ عمارة التمليك - المرحلة الخامسة - ميدان الساعة - ميدان سينما أمير - طنطا
مكتبة الإسماعيلية	٦٤/٣٢١٤٠٧٨ - ت : ٢٠٠٦٤
مكتبة جامعة قناة السويس	٦٤/٣٢١٤٠٧٨ - ت : ٢٠٠٦٤
مكتبة بورفؤاد	١٤، ١١ ناصية ش - دمنهور
مكتبة أسوان	٠٩٧/٢٢٠٢٩٣٠ - ت : ٢٠٠٩٧
مكتبة أسيوط	٦٠ ش الجمهورية - أسيوط
مكتبة المنيا	٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢ - ت : ٢٠٠٨٨
مكتبة المنيا (فرع الجامعة)	٠٦٥٣٧٣٣٢ - ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ت : ٢٠٠٦٥٣٧٣٣٢
مكتبة طنطا	٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤ - ت : ٢٠٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤
مكتبة المحلة الكبرى	٦ عمارة التمليك - المرحلة الخامسة - ميدان محطة السكة الحديد - عماره الضراب سابقاً - المحلة
مكتبة دمنهور	٦٤/٣٢١٤٠٧٨ - ت : ٢٠٠٦٤
مكتبة المنصورة	٦٤/٣٢١٤٠٧٨ - ت : ٢٠٠٦٤
مكتبة منوف	٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩ - ت : ٢٠٠٥٠
مكتبة المنيا	٠٦٥٣٧٣٣٢ - ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ت : ٢٠٠٦٥٣٧٣٣٢
مكتبة طنطا	٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤ - ت : ٢٠٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤
مكتبة الإسماعيلية	٦٤/٣٢١٤٠٧٨ - ت : ٢٠٠٦٤
مكتبة بورفؤاد	١٤، ١١ ناصية ش - دمنهور
مكتبة أسوان	٠٩٧/٢٢٠٢٩٣٠ - ت : ٢٠٠٩٧
مكتبة أسيوط	٦٠ ش الجمهورية - أسيوط
مكتبة المنيا	٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢ - ت : ٢٠٠٨٨
مكتبة المنيا (فرع الجامعة)	٠٦٥٣٧٣٣٢ - ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ت : ٢٠٠٦٥٣٧٣٣٢
مكتبة طنطا	٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤ - ت : ٢٠٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤
مكتبة الإسماعيلية	٦٤/٣٢١٤٠٧٨ - ت : ٢٠٠٦٤
مكتبة المنيا	٠٦٥٣٧٣٣٢ - ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ت : ٢٠٠٦٥٣٧٣٣٢
مكتبة المنيا	٠٦٥٣٧٣٣٢ - ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ت : ٢٠٠٦٥٣٧٣٣٢

كتابات في علم الأحياء

الطبعة - ١٩٦٣ - بيروت - مطبعة دار الكتب - ١٢٥٠

كتابات في علم الأحياء

كتابات في علم الأحياء - دار الكتب - ١٢٥٠

١٩٦٣ - بيروت

كتابات في علم الأحياء

٢٠١٤ - بيروت - دار الكتب - ١٢٥٠

كتابات في علم الأحياء - ١٢٥٠

١٩٦٣ - بيروت

كتابات في علم الأحياء

١٩٦٣ - بيروت - دار الكتب - ١٢٥٠

كتابات في علم الأحياء - ١٢٥٠

١٩٦٣ - بيروت

كتابات في علم الأحياء

١٢٥٠

مطباع الهيئة المصرية العامة للكتاب

كتابات في علم الأحياء

١٩٦٣ - بيروت - مطبعة دار الكتب - ١٢٥٠

١٩٦٣ - بيروت - مطبعة دار الكتب - ١٢٥٠

كتابات في علم الأحياء

١٩٦٣ - بيروت - دار الكتب - ١٢٥٠

كتابات في علم الأحياء

١٩٦٣ - بيروت - دار الكتب - ١٢٥٠

كتابات في علم الأحياء

١٩٦٣ - بيروت - دار الكتب - ١٢٥٠

كتابات في علم الأحياء - ١٢٥٠

كتابات في علم الأحياء

١٩٦٣ - بيروت - دار الكتب - ١٢٥٠

كتابات في علم الأحياء

١٩٦٣ - بيروت - دار الكتب - ١٢٥٠

البابا شنودة.. شخصية دينية كبيرة حضرت في ذاكرة الزمان مكاناً بارزاً.. وعلى الرغم من مكانته الدينية وعلمه الغزير فإن ذلك لم يشه عن الشعر والأدب.. فقد كان شاعراً فحلاً.. تقرأ شعره فتشعر أنك في عالم مليء بالأسرار.. تجد في شعره نفثة جبران خليل جبران، وتأمل إيليا أبي ماضى، وصور عبد المسيح حداد ، وبساطة نسيب عريضة، وعمق عباس العقاد، وبراعة المازنى، وموسيقى إبراهيم ناجى. وقليل من تناول «البابا شنودة» شاعراً، ولذا كان هذا الكتاب الذى يضم معظم شعره مع دراسة عن حياته ، وأخرى عن شعره تبين مدى شاعريته وصدقه في قصائده.

ISBN# 9789772073085



6 221149 024786

٥ جنيهات

الهيئة المصرية العامة للكتاب

